يوسف الحوراني

نظرية التكوين الفينيقية
وآثارها في حضارة الإغريق

دار النهار للنشر ش م ل
بيروت لبنان

دار النهار للنشر ش.م.ل.
بيروت ١٩٧٠

المحتويات

المقدّمة

نستطيع ان نعتبر النصوص المشروحة في هذا الكتاب أنموذجاً من التراث الفينيقي المتناثر في ثقافات شعوب البحر الابيض المتوسط . وهي على قلتها،ومع ما يحيط بها من غموض أصل تدعونا لاعادة النظر بجميع معارفنا عن الثقافات القديمة التي اتصلت بثقافة اللبنانيين القدماء من قريب أوبعيـد .

والمهمة الصعبة التي نجدها في تحقيق النصوص هذه هي المهمة عينها التي يجد نفسه فيها كل من يريد البحث في تاريخ لبنان القديم . فليس الغموض في الوثائق أو النقص بالمحفوظات فقط هو الذي يحول دون وصول الباحث الى الحقائق التي يطلبها ، وانما عملية التداخل الواسعة بين تاريخ لبنان الكنعاني السامي وتواريخ البلاد التي تماست حضارتها مع حضارته هي التي تجعل الباحث في حيرة وتضعه في دوامة من الشكوك والحيرة .

وهذا التداخل الحضاري القديم بين حضارة كانت ناضجة متفتحة وحضارات ناشئة ، جعل ورثاء الحضارات الاخيرة يعملون على طمس معالم عملية الاقتباس التي قام بها اجدادهم . وبالتالي أصبحوا تلقائيا ، يناهضون كل عملية إحياء وجمع لتراث يكشف تراث حضاراتهم ، وينصب علامات الاستفهام فوق أصالتها .

لقد توقف التاريخ الكنعاني عن مسيرته في لبنان عندما قضى الاسكندر على آخر حصن له بقضائه الحاقد على عنفوان مدينة صور ، سنة ٣٣٢ قبل الميلاد . بينما قضى الحقد الروماني بدوره على ابنة صور الكبرى قرطاجة ، في الشمال الافريقي سنة ١٤٦ قبل الميلاد . وبالقضاء على هاتين المدينتين غدت حضارة الفينيقيين كعجوز فاتها زمن الحمل والايلاد فبقيت تذوي وترقب الموت والاضمحلال .

وإن يكن الاسكندر ترك الهيلينية في شرق المتوسط كغرسة تتمثل نسغها من زخم الروح الفينيقية الباقية في صور وصيدا وجبيل وتحول لنفسها ما تمثلته فكاتو الشيخ الروماني المتعصب نصح عسكرييه بذر الملح فوق خرائب قرطاجة لئلا تعود حضارتها وتنبعث بتحديها لروما من جـديـد .

وكالتدمير العسكري الذي فرض قدر صور وقرطاجة، كانت تسير بالموازاة نفسها موجة من التدمير الثقافي تجتاح المعالم الباقية للثقافة الكنعانية الفينيقية ، وتقضي على الآثار والانجازات الفنية والفكرية ، إما بامتصاصها وادعاء ملكيتها ، كما كانت حالة الاغريق ، او باضطهادها ومحاربة رسلها وبقايا سلالتها ، كما فعل الرومان بقرطاجة ، او كما فعلت اليهودية المتجددة بالوجه المسيحي في ظل مسيحية قسطنطين .

* * *

لم يصلنا أثر مكتوب مختص بالفينيقيين ، رغم انهم مبتكرو الحرف ، ومعلمو الناس الكتابة . وما وصلنا عنهم هو شذرات يكون مر بها المؤرخون عرضاً لاستشهاد عابر اولاستهجان ورغبة تشهير ، أو لاثبات حادثة لهم قد لا تخص لبنان وفينيقييه من قريب أو بعيد . وهكذا يجد دارس تاريخ الفينيقيين نفسه ملزماً بتفحص جميع تواريخ الأمم الأخرى

ليعثر فيها على ملامح تاريخ هؤلاء ويستشف من بين سطورها مزايا شخصيتهم .

وبينما وجدت شعوب ضمنت الاستمرار والحماية لتاريخ الذين تمثلوا الحضارة الكنعانية ، لم تستطع هذه ان تحظى حتى اليوم بمجتمع يدعي وراثتها ، ويحمل بإخلاص مسؤولية تراثها ، رغم تعدد المجتمعات التي انجبتها في مجموع بلاد حوض المتوسط .

وهكذا وبعد ٢٢ قرناً من التشرد والضياع تجد حضارة «إيل» الكبرى التي كانت اساساً لحضارات قادت الانسانية الى حيث هي اليوم ، تجد نفسها غريبة حتى في موطنها وملاعب طفولتها بسبب الاهمال والتردد والمساومة على شرعية نسبها !

وكانت اقسى معاناة لهذه الحضارة في أن المنبرين لها ، المخلصين بالدفاع عنها والجادين لإبراز قيمة منجزاتها ، كانوا افرادا قلائل يعيشون غرباء ، أو بدون سلطة في المجتمعات ذاتها التي قضت على حضارة أسلافهم وحولت منجزاتها لتكون لها . ومن بين هؤلاء نذكر ثلاثة يصلح كل منهم ليكون انموذجا عن محام مطالب بإرث ، فشل بإثبات وجود ورثاء لهذا الارث .

هؤلاء هم : فيلون الجبيلي ، وأدريان وفرفوريوس الصوريين .

* * *

وفيلون هو أكثر ما يعنينا هنا لكونه حافظ النص الذي نحن بصدده. وكما تذكر مجموعة سويداس (Suidas) اسمه هيرنيوس (Herennius) ومن مواليد سنة ٤٢ للميلاد . أدرك فيلون الجبيلي الحيف الذي لحق بتاريخ قومه واكتشف التجني الذي جلبه الاغريق على التراث الذهبي

الكنعاني الذي وصلهم فهب يدافع عن هذا التراث . ولكنه اضطرالى كتابة دفاعه باللغة الاغريقية ذاتها ، التي أراد كشف سقطات ثقافتها . وهكذا كان يقاضي خصما هو الحكم . ولما شاء ان يصحح الخطأ الاغريقي بترجمة أصل فينيقي صحيح لعقائد الاغريق ونظرياتهم في التكوين والالوهة ، كان الزمن قد فات ، وأصبح الخطأ هو القاعدة ، فضاعت ترجمة فيلون لمجموعة سانخونياتن الفينيقي ، كما ضاعت كتبه هو في نقد حضارة الاغريق ، وبقيت أساطير هؤلاء وتحريفاتهم محفوظة مع معظم تراثهم الذي تعلموا من الفينيقيين كتابته وحفظه .

وما بقي لنا من فيلون الجبيلي الآن هو ما نقله عنه أعداء أفكاره للتشهير به . وهذا ما سنراه في ثنايا سطور النص الذي بين أيدينا ، والذي كان في تسعة كتب تضمنت تاريخ الفينيقيين كان ترجمها فيلون الجبيلي عن مؤلف فينيقي قديم ، هو سانخونياتن . أما النص هذا فهو ما اختاره أوزيب البامفيلي من المجموعة لمناقشة أفكاره وإبطالها . وهكذا نجدنا مضطرين لأخذ نص من عدو له اختاره وفق مزاجه وغاياتـه .

* * *

أما أدريان الصوري فهو من أبناء القرن الثاني للميلاد . وكما يذكر أونابيوس في «حياة السوفسطائيين» بلغ من العنفوان إلى حد أنه شاء تقمص شخصية قدموس ، معلم الحرف للاغريق . وكان يفتتح دروسه ومحاضراته في بلدة أرسطو وأفلاطون بقوله : «ها ان الحرف يأتي مرة أخرى من فينيقيا» . وكان هذا المحاضر المعلم فظا بتبجحه بفينيقيته ، لكنه كان يعلم ، مع ذلك ، باللغة اليونانية ! وكان هو والاغريق معا أصبحوا غرباء عن القيادة الحضارية الفاعلة . وعند إشارة بسيطة من سيد روما المعجب بأدريان ، انتقل ابن الحضارة المشردة هذا إلى جوار مارك

أوريل في روما ، حيث غاص بالرفاه الروماني ، وسحر الرومان ببلاغته وإيقاعات خطبه ، حتى أصبحت قاعة محاضراته تنافس قاعة مجلس الشيوخ الروماني ، وتعطل جلساته هو جلساتها هي .

ونسي هكذا أدريان أن له شعبا وتاريخا ومعلمين عظماء سبقوه ، وحضارة كبرى قضت عليها أثينا وروما اللتان صنعتا له مركبته المذهبة ..

أما آثار هذا المعلم الذهبي ، فلم تلق حتى الآن من يعنى بها ويجمعها من مجاميع آثار الاغريق والرومان .

* * *

ولعل فرفوريوس الصوري كان آخر ركب المصارعين في ظل الشعار الفينيقي . وقد كانت عملية اضطهاد هذا المفكر وحرق كتبه سنة ٤٤٨ أبلغ مأساة للحضارة الفينيقية التي كان يدين بمنطقه لها ويحمل في أعماقه نوازع ذهنيتها وميول تفكيرها .

وقد عرف مؤرخو الفلسفة فرفوريوس كتلميذ لأفلاطون ولونجين ووصفوه بسعة الثقافة وصفاء الذهن ، ولكن القلائل هم الذين عرفوه كتلميذ للمدرسة الفينيقية في نقد التاريخ والاديان . وإن أية موسوعة تعرف هذا الفينيقي المتأخر عن زمنه تصفه بعدم التجديد . وهو بحق قد لا يكون جدد كثيرا في تاريخه للفلسفة ، لكنه كان مبدعا سباقا في فلسفة التاريخ . وجرأته في هذا الحقل هي ما سنجد النقمة عليها عند أوزيب في نصوص هذا الكتاب ، وهي عينها استنفرت نقمة ضيقي الفكر من المسيحيين الاول ، وحملتهم على الحكم بالنار على آثاره الهامة التي استعمل فيها المنطق النقدي الدقيق للدين والفلسفة والتاريخ معا ، ولأول مرة في تاريخ الانسانية .

وقد ضاعت معظم آثار فرفوريوس، وما بقي منها لا يزال يبحث عن ورثاء يطالبون به .

* * *

وإن كنا نجهل نحن اليوم ما قدمه أبناء لبنان الأقدمون من مشاركة في تأسيس الفكر البشري وترسيخ قواعد الحضارة ، فهذا الجهل لا يعفي لبنان المعاصر من مسؤوليته ، وعلى مثقفيه أن يدركوا أنهم وحدهم مطالبون بالبحث عن هذا الإرث الضخم ، ومطالبون ببذل التضحيات في سبيل كشفه وكف التجني عنه .

وما الدليل إلى أهمية هذا التراث المنتشر في بلاد البحر المتوسط ، أو المتناثر في بطون تواريخ الأمم الأخرى إلا شهادات ومواقف نبل من باحثين ومؤلفين عالميين ، أدركوا بروح العلم مدى فعل لبنان قديما في تأسيس الحضارة العالمية . ولنا من قدماء هؤلاء سترابو الاغريقي الذي عاش في القرن الاول للميلاد ، وجال في مدن لبنان ، وفي مستعمراته القديمة . فمع اتصاف هذا المفلسف للجغرافيا والتاريخ بالتحفظ والدقة وسعة الاطلاع ، لم يترك مجالا إلا وأتى فيه على ما قدمه فينيقيو لبنان للحضارة من علم ومعرفة وإنجازات اجتماع ، حتى لنسمعه عند معالجته لجغرافية الإلياذة يقول مذكرا : «إني أكرر القول أن الذين أوحوا لهوميروس بهذه الأقاليم هم الفينيقيون » (سترابو ٣: ٢؛١٤) وهذه الحقيقة نفسها وصل اليها فكتور بيرار في مطلع القرن العشرين ، بعد ان عالج موضوع «الفينيقيين والأوذيسيه» . وقد وصل هذا الباحث الثقة إلى حكم صدر به دراسته الواسعة فقال: «لقد عانى الفينيقيون التعساء من نفور عميق عند كثيرين من العلماء، فبلغ هذا النفور حد الارتباط بالحركة المعادية للسامية» .

* * *

وكالقصص والمواقف هذه ، تأتي قصة نص «سانخونياتن» الذي

يتضمنه هذا الكتاب . فقد رسم الكثيرون شكوكا حول حقيقة وجود سانخونياتن ، واتهموا فيلون الجبيلي باختراع هذا الاسم وتدبيج تسعة كتب لنحلها إياه وإلحاق أفكارها ووقائعها بـه .

وكانت حجج هؤلاء المتشككين جميعا هي التقارب بين ما ترجمه فيلون عن سانخونياتن الفينيقي ، وما هو كائن عند الاغريق من نظريات في التكوين ، وأسماء ووظائف للآلهة . وقد بالغ في الشك علماء كبار أمثال رينان ولاغرانج وبوكهارت ومولر وغروب وموفر ، وكان لهم عذر في شكهم ، فهناك ثلاثون قرنا على الأقل من الأخطاء التاريخية المتراكمة . وليس من السهل كشف حقيقة من خلال هذه القرون ، دون أن يطالب بها أحد . وخطورة الموضوع هي أن الاعتراف بأصالة النص الذي بين أيدينا وبوجود سانخونياتن سيعني للعالم رفض جماع التراث الاغريقي الذي قامت على أسسه حضارة الغرب المعاصرة .

ولكن هناك موقف أوزيب ناقل هذا النص ، والمطلع على مجموع أفكار سانخونياتن التي ترجمها فيلون . وقد كان الأولى بأوزيب أن يتهم فيلون بالنحلة ، وعند ئذ يجعله في صف الاغريق بدل جعله يمثل حضارة مستقلة، كما فعل في كتابه الذي تضمن هذا النص وهو «الاستعداد للحياة الإنجيلية» فهو اختار النصوص الفينيقية من كتاب سانخونياتن ليقارن بين العقائد التي تصفها تلك النصوص وبين ما هو منتشر في زمنه ، ويعرفه كل المعرفة ، كما نجد ذلك في تعليقاته القصيرة (نص الحاشية ١٦ من المدخل والحاشية ١٦١) ولم يكن أوزيب من الغباء بحيث تنطلي عليه خدعة فيلون الجبيلي لو كانت هناك خدعة ، وبخاصة أنه كان أورد نصوصه لإبطالها ودحض أفكارها أي أنه كان يبحث عن المآخذ على فيلون .

كما هناك شهادة فرفوريوس الصوري التي يوردها أوزيب لإثبات

وجود سانخونياتن ، وصحة ترجمة فيلون لآثاره . ولو كان هناك مجال لشك لكان اغتنمه أوزيب لمحاربة الاثنين معا ، وهما من أعدائه العقائديين . ولكن ما يبدو أن النصوص الكاملة التي كانت بين يدي أوزيب ، بالإضافة الى العقائد والطقوس والمعابد الفينيقية التي كانت لا تزال منتشرة في زمنه ، كونت لديه قناعة بحقيقة سانخونياتن ، فراح يناقش الأفكار مناقشة جادة . ونجده يذكر في نهاية النصوص كتابات شخصية لفيلون الجبيلي عن الشعب اليهودي . وهذه الكتابات تتعلق بالموضوع ذاته الذي كان يناقشه هو في كتبه . وهذا ما يقودنا الى الاعتقاد بأن أوزيب كان يتخذ كتب فيلون الجبيلي ، الشخصية والمترجمة ، كمصادر لدراساته . ولكون هذه الكتب ، بعد السنوات المئتين تقريبا الفاصلة بين أوزيب وفيلون الجبيلي ، كان من المتعذر وجودها خارج المكتبات المختصة ، فان من التأكيد أن تكون وجدت بتصرف أوزيب في مكتبة قيصرية في فلسطين ، هذه المكتبة التي أنشأها معلمه بامفيلوس الفينيقي واستعملها هو .

* * *

وهنا نقف لنعرف أوزيب ونحاسبه :

ولد أوزيب حوالي سنة ٢٦٠ للميلاد . ولم يعرف أصله ومولده . وقد عرف بأوزيب البامفيلي . ويعتقد الكثيرون أنه حمل هذا النسب لصلته الوثيقة ببامفيلوس في قيصرية في فلسطين. وكان بامفيلوس الفينيقي الأصل هذا ، قد جمع مكتبة ضخمة في مدينة قيصرية ، كما فعل مثله أسقف القدس ألكسندر . ومن هاتين المكتبتين استقى أوزيب ثقافته .

كان سجن أثناء الاضطهاد في قيصرية ، ولكنه لم يعدم أو يعذب .

وقد اتهم بخروجه على الإيمان أثناء الاضطهاد ولذلك نجا من التعذيب ، وكان الذي اتهمه اسقف «هرقليا» .

عين اسقفا لقيصرية ، وحضر تدشين أول كاتدرائية في صور ووصفها في كتابه . كان نال حظوة كبيرة لدى الامبراطور المسيحي قسطنطين ، وقد حضر عدة مجامع كنسية فبرز فيها بحذقه .

كتب أوزيب عدة كتب ، بعضها كان محاورات في الإيمان المسيحي . وكان أول مؤرخ حقيقي للكنيسة . وقد رد على فرفوريوس بكتاب يدافع فيه عن أوريجن والمسيحيين . كما كتب في فلسفة المسيحية وفي أسماء الأشخاص والأماكن المذكورة في العهد القديم . وكتب تاريخ حياة قسطنطين ، وتاريخ شهداء فلسطين . كما كتب «حياة بامفيلوس» و «تاريخ الكنيسة» وهو أهم كتبه . وله عدة خطب ومقالات ومقتطفات من الأنبياء جمعها في كتبه . ومن كتابه «الاستعداد للحياة الإنجيلية» أخذنا النص الذي نقله بين نصوص أخرى للاغريق والمصريين بنية مناقشتها وإبطالها . وقد بقي لنا جانب كبير من كتب أوزيب وصلنا في لغات مختلفة .

* * *

وهنا أمام أوزيب نطرح سؤالا خطيرا ، وهو : ماذا حدث لكتب فيلون التي كانت بين يديه ، ولمَ لم يصلنا شيء منها ، ولم يذكرها أحد غيره وغير فرفوريوس الذي توفي قبله ؟

لقد ذكر أوزيب لفيلون تسعة كتب عن التاريخ الفينيقي ، وثلاثة عن تاريخ الاغريق ، وكتابة عن الشعب اليهودي ، الذي كان أوزيب يدافع عنه .

وهنا نوجه اتهاما لأوزيب هو أقسى من ذاك الذي وجهه اليه اسقف

هرقليا ، ولم يجد المستندات لدعمه . والاتهام هنا هو :

ــ ان أوزيب البامفيلي، أسقف قيصرية في فلسطين قد سرق النصوص والتحقيقات العلمية من كتابات سانخونياتن وفيلون الجبيلي ونسبها لنفسه وأحرق الكتب لإبعاد الشبهة عنه . وهذا حدث بعد وفاة بامفيلوس الفينيقي أستاذه الذي جمع هذه المؤلفات ، وبعد وفاة فرفوريوس الذي كان مؤهلا لكشف هذه السرقة . وقد مات فرفوريوس سنة ٣٠٤ بينما عاش أوزيب حتى سنة ٣٣٩ ، ويقدر أنه نشر تعريفات أماكن وأسماء العهد القديم في العشرينات من القرن الرابع للميلاد . ويشير فرفوريوس إلى مثل هذه التعريفات عند سانخونياتن عندما يقول : «سانخونياتن يقص مع الحرص الكبير على الحقيقة جميع ما له علاقة باليهود ، لأنه لم يغير الأمكنة أو الأسماء » (نص الحاشية ٦ من المدخل) .

أما مكان السرقة فكان مكتبة قيصرية ، حيث كان أوزيب يقوم بدراساته التوراتية ويستعين بتاريخ سانخونياتن وفيلون عن التاريخ اليهودي وأسماء الأماكن الفلسطينية . وتحقيق هذا الاتهام لأوزيب يتطلب العودة لكتابه لمعرفة مدى اعتماده على مرويات التاريخ الفينيقي ، التي لم ينقل لنا عنها في كتابه «الاستعداد للحياة الانجيلية» سوى نظرية التكوين وتسلسل الأجداد المؤلهين ، وهذا الكتاب لا يزال محفوظا باليونانيــة . وهو بحث في اسماءالامكنة والاعلام الفلسطينية .

* * *

ونعود لنص فيلون الجبيلي عند أوزيب . فان ما يثبت فينيقية هذا النص هو أسماء الأمكنة والأشخاص الواردة فيه ، حيث أصبحنا قادرين الآن على التحقق من هذه الأسماء والأمكنة أكثر مما كان يقدر على ذلك أمثال فيلون الجبيلي أو أوزيب، وذلك لوفرة المصادر بين أيدينا ولسهولة

تناقل المعرفة بين المعنيين بهذه الامور ، وبسبب الكشوفات التي تمت في أوغاريت والتي أرتنا أن الأسماء الواردة في النص لم تكن غريبة عـلى الفينيقيين في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد ، بل وإن الوظائف الموكولة لهذه الأسماء هي نفسها في لوحات أوغاريت .

ولكن ما يرعب دارسي التاريخ الإغريقي ومحققي معالم حضارته هو هذه الأسماء التي يوردها نص سانخونياتن . فهي تبدو كالأصل للنسخات الإغريقية التي قبسها هوميروس أو هيزيود أو أورفيوس أو فيريسيد الذي يذكره فيلون كتلميذ نجيب للفينيقيين. ولكن لم تكن التأثيرات الفينيقية بحاجة إلى مثل هذه الشواهد من النصوص المكتوبة التي قد تتعرض للتحريف أو الضياع ، فهناك أسماء جزر ومدن كبرى لا تزال تشهد على حضارة هؤلاء في حوض المتوسط . ولم يكن الاسم ليطلق على جزيرة أو مدينة لولا تغلب صاحب الاسم على ذاك القطر ، أو تلك الجزيرة أو المدينة . فهناك اسم القارة أوربة (عربة) وسموس (شمس) وسلاميس (سلام) وقادش وترشيش وبيلو (بعلو) والعشرات من مثل هذه الأسماء الشهيرة .

يضاف اليها عدد من أسماء الآلهة والالهات من مثل حورا وديونيسيوس والكبيرس وغيرهم ممن لا جدل في أصلهم السامي الكنعاني . واذا ما شئنا مماشاة فكتور بيرار فان التفصيلات الحضارية كأسماء الأنسجـة والمشروبات المخمرة ، والعصافير والأسماك ، والأسلحة ، في الاوديسيه عند هوميروس ، تحمل الأسماء الفينيقية نفسها .

وما يدحض الاتهام عن فيلون الجبيلي هو أنه يذكر لنا كتابا له في نقد التاريخ الإغريقي في ثلاثة أجزاء . كما لايترك مجالا في النص إلا ويحمل فيه على تحريف الإغريق للعقائد الكنعانية ، وفي مثل هذه الحالة نستبعد أن يكون فيلون ترك لخصومه هذا المأخذ السهل عليه . وبخاصة

أنه غريب عن الحضارتين اللتين عاش في ظلهما الثقافي والسياسي ، واعني بهما الحضارة اليونانية وامتدادها الحضارة الرومانية ، التي كانت تقود حملات عسكرية آنذاك على النزعات الشعوبيـة ، وتفرض معبوداتها بالقوة على الناس .

* * *

أما الموقف المأساوي الآخر الذي نرجح أنه كان الدافع للقضاء على بقايا الآثار الفينيقية فكان موقف المسيحية الأولى من هذه الآثار . ولنا من موقف أوزيب الدليل الواضح على ذلك . فالمسيحية الأولى لم تكن في موقفها من العقائد الفينيقية غير يهودية متجددة ، مفعمة بالحقد على الكنعانيين وعقائدهم ، ومعطيات ثقافتهم ، حتى يخال المرء الذين حكموا على كتب الفلسفة بالحرق هم أحفاد الكهنة الذين حكموا على يسوع بالصلب ، وعلى كهنة البعل بالقتل فوق الكرمل في زمن إيليا التشبي الذي كان لاجئا في لبنان البلد الأصل للبعل وكهنته وعبادتـه ... !

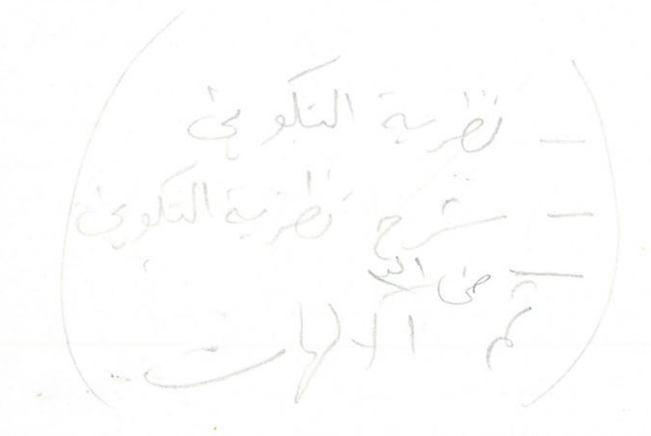
أما ما يحتاج إلى وقفة تأمل وكشف لمعالم الكنعانيين فهو ما يحتويـه العهد القديم من سلطة لإيل الكنعاني على اليهود الفارين من عبوديـة المصريين . ففي أكثر من حقبة تاريخية من تاريخ اليهود القديم نجدهم أتباعا مخلصين لمعبودات الكنعانيين . وحتى في أوج ازدهار التاريخ الذي يدّعونه في زمن سليمان بن داود نجد هذا السليمان متعبدا خاشعا لمعبودات كنعان . والمجال هنا للإشارة فقط وليس للتوسع في البحث عن تراث «إيـل» في تسميات أبناء يعقوب (تكوين ٢٨ : ١٩) .

وإن نكن نطمع بشيء مفيد للإنسانية في الكشوفات الأثرية الكنعانية المنتظرة فهذا الشيء سيكون في الاطلاع على تجربة مختلفة من تجارب الإنسان الحضارية ، حيث كانت العقائد بالآلهة والإنسان غير ما هي ،

وعلاقات الناس وتقاليدهم وتقديسهم للبطولة غير ماهي ، ومشاعرهم نحو العطاء والتضحية بالذات ، أو من الذات غير مـاهي في جميـع الحضارات الأخرى ، وحيث كانت بالنهاية تجربة الجنس ، والغيرة الجنسية ، وقداسة العطاء الجنسي عند المرأة ، مما لم تجربه أية حضارة أخرى من الحضارات المعروفـة ...

أما السلطات والأنظمة المدنية هذه الأنظمة التي اعتبرها أرسطو الإغريقي في السياسيات ١٢٧٢ «أرقى قوانين الحكم في العالم» فهو ما لا يزال العالم بحاجة إلى معرفته. ولعل علم الآثار هو الطريق الوحيد الآن في لبنان لأجـل هـذه المعـرفـة .

ولا أرى في محتويات هذا الكتاب إلا إشارات طريق يمكن لنا إتباعها لإحياء تراث حضارة قديمة لم يطالب أحد بوراثتها حتى الآن ...



هذه الترجمة

اعتمدتُ في هذه الترجمة على ترجمة Seguier de saint Brisson المنشورة سنة ١٨٤٦ في منشورات Gaume في باريس. وهي ترجمة دقيقة عن اليونانية ، حيث يذكر في مقدمته لها أنه اطلع على طبعتين يونانيتين الأولى في ألمانيا والثانية في بريطانيا . كما ينتقد بعض الترجمات الخاطئة إلى اللغة الفرنسية ، منها ترجمة للأب Migne . وهو لا يتردد في ذكر جملة يونانية غامضة عندما يوجد ذلك . وهذا ما يجعله موثوقا . كما جرت المقارنة مع الترجمة التي اعتمدها لاغرانج (Lagrange) في دراسته للأديان السامية ومع الترجمة التي اعتمدها L. Delaporte في موسوعة Larousse للميثولوجيا . ولم يبرز فرق كبير بين هذه الترجمات المختلفة سوى بعض الاختلافات في كتابة حروف الأسماء .

وقد حافظت على الأصل محافظة تامة ، بما في ذلك حروف العطف والجر ، حتى وعندما أدى ذلك إلى الركاكة في سبك الجملة . كما أبقيت اللاحقة اليونانية «س» في الأسماء ، كما وردت عند المترجم . وأوردت اللفظ الفرنسي غالبا إلى جانب اللفظ العربي للاسم. وذلك اعتناء بالدقة. وقد قمت بتقسيم النص إلى مقاطع وضعت لها أرقاما لم تكن في الأصل . كما عنيت بذكر المراجع بالتفصيل تسهيلاً للعودة إليها من قبل القارىء المحقق ووضعت في مقدمة كل فقرة بحرف صغير ، وبين مزدوجين ، اسم الشخص الذي ترجحت لدي نسبة النص له .

أما المدخل فقد نقلته كما هو عند أوزيب لرابطته بالنص ، ولما يقدمه من شهادة له على لسان فرفوريوس الصوري (Porphyre) .

القسم الاول

المدخل الى سانخونياتن

– I –

كتب أوزيب في الجزء الأول من كتابه «التمهيد للحياة الإنجيلية» فقال :

(أوزيب)

– إن تعدد الآلهة ، هذا الضلال الذي أخذت به الشعوب ، ابتدأ عند الفينيقيين والمصريين ، وانتشر عن طريقهم الى الشعوب الأخرى حتى وصل إلى اليونانيين . والتاريخ منذ الأزمنة القديمة يحمل البرهان على ذلك . وقد آن الأوان لأن نمعن النظر فيه بادئين بالفينيقيين [1] .

---

(١) إن جميع ما كتبه اوزيب كان للدفاع عن العقيدة المسيحية ولدحض العقائد السابقة لها التي لا تنسجم مع النظرية اللاهوتية اليهودية – المسيحية . وقد اعتبر اوزيب نفسه بحق المؤرخ الأول للمسيحية ، إذ هو أبرز من أرخ لحوادث الاضطهاد التي تعرض لها المسيحيون الأول في فلسطين . وقد وصفه أحد دارسيه بأنه يعالج الفلسفة بروح التاريخ والتاريخ بروح الفلسفة . وهو هكذا كان يكتب التاريخ لغاية عقائدية ، ذات حكم سابق على الحوادث . وهذا الموقف الدغمي يجعلنا نشك بأن يكون اختار النصوص القوية الدلالة والحجة من ترجمة فيلون الجبيلي ، لأن غايته كانت مناقشة الأفكار الفينيقية عن التكوين وتسلسل الاجداد الآلهة لدحضها وابطال حجتها .

إن سانخونياتن شخصية من العهود القديمة، نستطيع ان نقول عنه أنه قبل زمن طروادة [٢]، إذا شئنا تعيين الزمن الذي كتب فيه تاريخ فينيقيا . وهو يقص الامور نفسها في تاريخه [٣] .

وقد قام فيلون الجبيلي ، وهو ليس فيلون اليهودي ، قام بترجمة

ولكن هذا لا يعني ان اوزيب حرف النصوص التي نقلها لنا ، لان ما يمنعه من ذلك كان سهر خصومه من امثال فرفوريوس وتلامذته ، ولانتشار اسلوب التدقيق في النصوص والتشديد على نقلها وترجمتها ، مما حمل أوريجن زعيم مدرسة اوزيب على نشر العهد القديم في ستة أعمدة متقابلة للمقارنة ، حيث تضمنت هذه الاعمدة نصوصاً أصلية مع ترجمات مختلفة لها .

(٢) هنا إشارة عميقة الدلالة على ثقافة اوزيب اليونانية التي كانت الالياذة والاوديسه لهوميروس الأساس لها بما نقلتاه عن حرب طرواده ، حيث أصبحت هذه الحرب فاصلا لتعريف تاريخ الاغريق . وهوميرس نفسه يشهد بأن الحضارة الفينيقية كانت في اوج مجدها آنذاك (الاوديسيه ف ٤ و ١٥ والالياذه ف ٦ س ٢٨٩ و ف ٢٣ س ٧٤٣ وغيرها الكثير) .

(٣) لا يبدو ان تاريخ فينيقيا كتب بيد شخص واحد ودفعة واحدة ، كما يريد قول ذلك اوزيب . فقد كانت أخبار الوقائع الفينيقية تحفظ في المعابد ويقوم عليها الكهنة ، كما وردت إشارة لذلك عند هيرودت في القرن الخامس قبل الميلاد (الكتاب ٢ : ٤٤) وأشار إلى مثل هذه المحفوظات جوزيفس في القرن الأول قبل الميلاد في « التاريخ القديم لليهود » حيث ذكر ان الرسائل المتبادلة بين حيرام ملك صور وسليمان بن داود كانت لا تزال نصوصها محفوظة لدى الصوريين من الف سنة سلفت (الكتاب ٨ ف ٢) .
ويعني اوزيب « بالامور نفسها » فكرة تعدد الآلهة التي يحاربها .

جميع تاريخ سانخونياتن من لغة الفينيقيين إلى اللغة اليونانية ، وبذلك جعله معروفا [٤] .

— II —

وقد ذكر فرفوريوس [٥](Porphyre) الذي يكتب الافتراءات ضدنا ،

---

(٤) أشار جوزيفس إلى ترجمات لتاريخ الفينيقيين سبقت ترجمة فيلون لسانخونياتن . وقد نقل نصوصاً في كتابه « التاريخ القديم لليهود » نسبها لمترجم اسمه « مناندر » ونصوصاً اخرى نسبها لمؤرخ اسمه « ديون » (الكتاب ٨ ف ٢ والكتاب ٩ ف ١٤) وجوزيفس معاصر لفيلون الجبيلي وإن لم يشر اليه .

(٥) فرفوريوس : اسمه الأصل « ملك » عاش في القرن الثالث للميلاد وكان معاصراً لأوزيب . ومن ألد اعدائه العقائديين . ولد في صور ودرس في أثينا وتحول إلى الافلاطونية الحديثة في روما . كتب ما يقارب ٧٧ مؤلفاً في مختلف العلوم الانسانية بدءاً من علم الاجنة والنبات حتى التاريخ والعقائد والمنطق وقواعد اللغة . درس الاديان القديمة بتوسع من وجهة نظر فلسفية. وشرح عدة فلاسفة منهم أرسطو وافلاطون وأفلوطين وثيوفراست . حكم بالحرق على أبرز مقالاته سنة ٤٤٨ وكانت مجموعة في خمسة عشر مجلداً . وكان استعمل احدث الطرق التي نستعملها اليوم في نقد التاريخ والنصوص الدينية . اعتبرت شروحه للفلسفة مرجعاً رئيسياً لفلسفة القرون الوسطى . وكان من أبرز الذين اعتمدت عليهم الفلسفة العربية ، حيث ذكر له ابن النديم في « الفهرست » تسعة كتب مترجمة للعربية . ويعتبره مؤرخو الفلسفة آخر تطورات الفلسفة بين الاغريق والشرق ، بينما ينكر عليه بعضهم الابداع . ولعله في طريقة تفكيره ونزوعه للنقد والتحقيق العلمي كان يمثل الالتقاء الاخير بين الثقافة الفينيقية الواقعية التي ورثها عن اسلافه وبين الثقافة الاغريقية الجانحة دائماً إلى الخيال . (أول ترجمة لفرفوريوس كتبها يونابيوس في القرن الرابع في مجموعة « حياة الصوفيين »).

ذكر في كتابه الرابع هذه الأشياء ، مرددا كلمة فكلمة الشهادة التالية لسانخونيـاتـن :

(فرفوريوس)

— «سانخونياتن البيروتي يقص مع الحرص الكبير على الحقيقة ، جميع ما له علاقة باليهود، لأنه لم يغير الأمكنة أو الأسماء [٦]. وقد كانت بين يديه مذكرات الفها جيرومبعل[٧] ، كاهن الإله جينو [٨] Jéno .

---

(٦) كانت أجل خدمة قدمها فرفوريوس للفلسفة هي حرصه على ذكر الاسماء إلى جانب النصوص والأقوال التي كان يستعيرها من الآخرين (دودز في موسوعة اوكسفورد) ولاشارته هنا دلالة كبيرة على نهج المدرسة التي كان تأثر بها وتبنى اسلوبها في البحث عن الحقيقة . ولا بد من الاشارة إلى ان اوزيب وضع كتاباً في اسماء الاماكن الواردة في العهد القديم بعد موت فرفوريوس ولا بد من ان يكون اعتمد فيه على تسميات سانخونياتن هذه . والكتاب لا يزال محفوظاً في اليونانية .

(٧) الاشارة هنا إلى مؤرخ محقق سابق لسانخونياتن . وهذا يعني ان الفينيقيين كانوا يعتنون كثيراً بحفظ تاريخهم .

(٨) نقل « لاغرانج » اسم هذا الاله هكذا « Ieuô » وهو كما يبدو غير الاله الروماني « جانوس » إله الابواب او اله الآلهة الذي يرقى إلى مستوى الاله الكنعاني « إيل » وجدير بالذكر ان الاله الروماني كان يرسم ذا وجهين كالاله « ايسمد » في اساطير ما بين النهرين . وسنرى ايضاً ان الرمز المزدوج هو من شعارات الفينيقيين (حاشية ١٢٣) .

وجيرومبعل كان قدم تاريخه لأبيبعل [٩] (Abibal) ملك بيروت ، فتلقاه هو وجماعة كلفت بفحصه والنظر إلى ما فيه من حقائق[١٠]. وزمن هؤلاء الناس يعود إلى ما قبل حرب طروادة؛ وهو يقارب الزمن الذي عاش فيه موسى [١١] ، كما يدل على ذلك تعاقب ملوك فينيقيا [١٢] .

---

(٩) وجد ملكان بهذا الاسم في القرن العاشر قبل الميلاد . الاول هو والد حيرام الاول ملك صور ، وقد ذكره جوزيفس في « التاريخ القديم لليهود » نقلا عن مناندر (الكتاب ٨ ف ٢) والآخر ملك جبيل وقد ذكره « كونتينو » في جدول ملوك فينيقيا . و ما يبدو هو ان هناك ملكاً لبيروت ايضاً بهذا الاسم عاش قبل هذين . ولا سبيل للشك بأن يكون فرفوريوس خلط بين هؤلاء او انه لم يلاحظ الخلط ، وذلك لما اتصف به هذا المفكر من انضباط عظيم ودقة بالتحقيق .

(١٠) بهذا الاجتماع العلمي يكون الفينيقيون اول من عقد جلسة علمية لمناقشة اطروحة يقدمها احد الباحثين . وهذه المناقشة هي عين ما تقوم به الجامعات الحديثة الكبرى في رسالات الدكتورا . ولا شك بأن فرفوريوس تأثر كثيراً بهذا الاسلوب في التحقيق فجعله يبرز في كتاباته .

(١١) يقدر هيرودت ان حرب طروادة حدثت في اواسط القرن الثالث عشر قبل الميلاد (٢ : ١٤٥) وهناك تقدير تاريخي آخر هو اواخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد . بينما يقدر ايضاً ان موسى عاش بين النصف الاخير من القرن الخامس عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر . وهكذا يكون التاريخ التقريبي لجمع مذكرات جيرومبعل أواخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وهي فترة مليئة بالحوادث ، واهمها كان الغزو اليهودي لبلاد الكنعانيين في فلسطين .

(١٢) هنا اشارة هامة إلى قيام فرفوريوس بتحقيق زمن هذا التاريخ مسترشداً بتعاقب ملوك البلاد .

أما بخصوص سانخونياتن الذي يعني صديق الحقيقة (Philalèthe) بلغة الفينيقيين[١٣]، فقد جمع جميع التاريخ القديم من المعابد الموجودة في كل مدينة ، وصنف تاريخه منها . وهو عاش في زمن سميراميس ملكة الأشوريين[١٤]. ويقدر انه في سنوات سابقة لها، أو على الأقل تتوافق مع زمن حوادث إليون (طروادة) . وبالنهاية فان فيلون الجبيلي ترجم إلى اللغة اليونانية كتابات سانخونياتن» .

---

(١٣) يبدو ان الحكمة مع الثقافة كانت وظيفة اجتماعية عند الفينيقيين . فكما رأينا جيرومبعل الكاهن يخضع للامتحان بالقضايا المتعلقة بالمعرفة والثقافة دون اي اعتبار لكهنوته ، نجد هنا سانخونياتن يعني لقباً علمياً غلب على الاسم الحقيقي ، وليس له اي صفة كهنوتية . كما عند مراجعة جوزيفس في « التاريخ القديم لليهود نجد ان حيرام أرسل لسليمان شاباً من هؤلاء الحكماء المثقفين اسمه « عبديمون » وذلك ليحل له الغازاً ، ويطرح عليه الغازاً غيرها (٨: ف ٢).

(١٤) هنا ضوء جديد على هذه الملكة التي ظنها بعض المؤرخين اسطورة لا وجود لها . فبينما يذكر فرفوريوس ان زمنها قريب من زمن حرب طروادة نجد المؤرخ الكلداني « ادي شير » في كتابه « تاريخ كلدو وأثور » يرى انها زوجة باني نينوى « تغلاتنينيب » الذي عاش في اواسط القرن الثالث عشر (الكتاب ٣ : ١ : ١ و ٢) . وهذا التاريخ يجعل سانخونياتن يعيش في النصف الأول من القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، أي بعد جيرومبعل بأكثر من مئة سنة ، وفي زمن اشتداد الصراع بين الكنعانيين واليهود الذين اغتصبوا أرضهم وبدأوا بمحاولة تغيير عقائدهم ونهج تفكيرهم وحضارتهم ، واسماء مدنهم وقراهم .

— III —

(اوزيب)

هذا ما شهد به المؤلف المذكور نحو حقيقة ذلك اللاهوتي وقدمه .

وهو نفسه يتابع فلا يحدثنا عن إله متعال . ولا حتى عن آلهة سماويين بل عن رجال ونساء فانين . بل وليس عن أولئك الذين يتمتعون بميزات أخلاقية بارزة ، تجعلهم مثار الإعجاب ، بما لديهم من فضائل ، فيكونون نماذج تحتذى بروحهم الفلسفية ، لكن عن كائنات تنوء بما تحمل من فساد وشر ومخجلات[١٥]. ويتفق أن يكون هؤلاء أنفسهم، ومنذ ذلك الزمن لا يزالون معتبرين كآلهة من قبل جميع الناس بحسب المدن والأمكنة[١٦] .

---

(١٥) هذه المآخذ التي يذكرها اوزيب على فرفوريوس تشكل مادة الصراع الحضاري الضاري بين الواقعية الفينيقية التي كانت تقدس البطولة الانسانية ، وبين الغيبيات والتهويمات اليهودية القائمة على الاعجاز والاسرار . ولسوء طالع الحضارة الفينيقية جاءت الديانة المسيحية لتكون مطرقة القدر لها فتنفذ بطريق غير اليهود ما عجز هؤلاء عنه بالحرب وتعزيمات الغيب ، وليس مأخذ اوزيب هنا سوى ان فرفوريوس يصف الانسان كما هو بما فيه من خير وشر ونبل وفساد .

(١٦) هنا يخلط اوزيب بين الاله الغيبي المتعالي المالك لقوى الطبيعة وبين الانسان البطل المؤله ، الذي كان يقدسه الكنعانيون كما ستظهر ذلك كتابات سانخونياتن . وليس أدل على سلامة الفكرة الفينيقية عن البطل مما تقوم عليه الحضارة الحديثة من تقديس لمن غيروا في مسيرتها أمثال : نابليون وواشنطن ولينين وغاندي وماوتسي تونغ وغيرهم.ولا شك بأن قبور هؤلاء ستضحي ➤

ولنأخذ البرهان من خلال مقتطفات من الكتاب ذاته . وفيلون الذي وزع مجموعة سانخونياتن جميعها في تسعة كتب يعرفنا به مقدما إياه بهذه الكلمات في مقدمة الكتاب الأول :

— IV —

(فيلون الجبيلي)

— «إن الأشياء كائنة هكذا : سانخونياتن شخصية جادة جدا ، ونشيطة جدا . وأراد فوق كل شيء معرفة ما هي مبادئ الأشياء ، ومما يتكون كل ما هو موجود[17]. وقد بحث باصرار كبير في تطبيق كتابات تأوتس[18] Taautos ، بعد أن علم أن بين جميع الأشخاص الذين

مزارات في المستقبل اقدس من جميع ما قدسه الكنعانيون وغير الكنعانيين من مزارات الابطال . ومثل هذه التقاليد والمعتقدات لا يمكنها ان تحدث الا في حضارة مستقرة راسخة ولها تاريخ .

(١٧) ليس من السهل ان يحكم فيلون الجبيلي على كتابات سانخونياتن بمثل هذا الاكبار لو لم تكن أهلا لذلك . وما علينا ان نذكره هو ان فيلون جاء بعد عصر ازدهار المنطق الأرسطوي ، ولا مجال لاتهامه بحماسة التعصب ، ما دام انه كان تثقف بمنطق العلم الاغريقي ، واطلع على أساليب النقد والجدل . ويثبت هذا لنا اشارته إلى مؤلفات له عن اليونان .

(١٨) من وظائف هذا الاله في العقائد المصرية الجنوبية السهر على الانضباط وصحة المقاييس وهو اله الكتابة والتوقيت . ويبدو ان هذه الوظيفة نفسها كان يقوم بها عند الفينيقيين .

ظهروا تحت الشمس كان تأوتس هو الأول الذي ابتكر الحروف ، وافتتح مشروع الكتابة على المعابد . وهكذا يكون قد جعلها أساسا لجميع ما كتب[19]. وهذا هو نفسه الذي يدعوه المصريون ثويت (Thoyt) والإسكندريون ثوث (Thoth) ويترجمه اليونانيون بهرمس «مركور»[20]

---

(١٩) ان هذه الاشارة التي تتكرر عن حفظ وثائق التاريخ في المزارات أكدها هيرودت في مصر أيضاً عندما أطلعه الكهنة هناك على سجلات تاريخية في هياكلهم (هيرودت ٢ : ١٤٥) وقد ذكرنا مثل ذلك في الحاشية رقم ٣ وهذا الموضوع يجعلنا نأمل بكشف الكثير من الوثائق الفينيقية ، حيث هناك معابد فينيقية لا تزال تتمتع بالقداسة حتى اليوم ، رغم اختلاف الشعوب والحضارات التي توالت عليها ، وهذا يعني ان آثارها المدفونة في الأرض لم تنبش بعد والعدد الأكبر من هذه المعابد موجود في جنوب لبنان نذكر منها على سبيل المثال : الجليل في قانا ، وصديق في تبنين ، والصياح في جويا ، ومنذر في ميس الجبل ، وفي مركبا ، وبنات يعقوب في شقرا ، وشيت في برعشيت ، والمعشوق قرب صور ، وشمع في الشعب وركب في عرمتا وساري قرب عدلون ، وقاسم قرب صور ، وصافي قرب جبع ، وغير هذه مزارات كثيرة ليست اسلامية او مسيحية . والكثير منها يطلق عليه اسم نبي ، وهذا ينفي وجود اية علاقة لها بالاسلام لتحريم إطلاق هذه الصفة على الأولياء الذين جاؤوا بعد محمد .

(٢٠) توسع الاغريق والرومان كثيراً بوظائف هذا الاله . وكلها تدل على الفطنة والذكاء والحكمة والانضباط . ومن وظائفه نعرف انه من أصل شرقي فينيقي . فهو مبتكر العود ذي الاوتار ومخترع الحروف الابجدية ، ورب المسافرين في البحار ، ومن مستلزماته قبعته المجنحة والعصا ذات الجناحين التي يلتف حولها ثعبانان والحذاء المجنح أيضاً وهذه سنراها في الرموز الكنعانية عند سانخونياتن (حاشية ١٢٣) .

— V —

(اوزيب)

— وبعد قول هذه الأشياء يكتب فيلون ضد جميع المستحدثات التي جاءت بعد هذه الكتابات [٢١]، وأدخلت ، قهرا ، وضد كل حقيقة، استعارات وتفاصيل فيزيائية ونظريات في الأساطير المتعلقة بالآلهة . ويضيف :

(فيلون الجبيلي)

— «إن اللاهوتيين الحديثين قد أتلفوا كل أثر للأمور التي حدثت عن أصول الأشياء ، وذلك باختراع الاستعارات في الأساطير لغاية جعلها تتناسب مع حركات الكون . وعلى هذا النسق أنشأوا طقوس الأسرار (Mystères) ونشروا ، هكذا ، ظلمة كثيفة فوق جميع هذه الأشياء ، بحيث لم يعد من السهل تمييز ما حدث بالواقع [٢٢]. ولكن هذا

---

(٢١) ما يقصده أوزيب هنا هو الوقائع التي ينسبها المتدينون للالهة .

(٢٢) يبدو ان قدر فيلون الجبيلي كان مثل قدر سانخونياتن نفسه الذي نفترض وجوده قبله بثلاثة عشر قرناً . فهذا هب لجمع تاريخ الكنعانيين ونظرياتهم في التكوين على الارجح ليقف بها في وجه التهويمات اليهودية التي كانت تدفع اليهود لغزو بلاد كنعان وتحريم الحياة فيها ، بعد شرودهم من مصر ، وفيلون بدوره في القرن الأول للميلاد يريد ان يوقف تدهور المنطق أمام اجتياح العقائد الغيبية والاسطورية لاذهان الناس في زمنه . وكلاهما يستندان إلى قاعدة حضارية واحدة ، ذات نهج فكري متميز عما لدى اليهود او لدى الاغريق .

(سانخونياتن) كان اكتشف في المعابد [٢٣]، الكتابات المقدسة للعمونيين [٢٤]، حيث كانت محفوظة هناك ، وقلائل هم الذين كانوا يعرفونها . وهو انكبّ على دراستها في جميع ما تحتويه ، ثم قام بهذا المشروع فأنجز خطته بإقصاء القصص المبنية على العناصر والاستعارات [٢٥]، حتى وصل الى الذي حدث في الأزمنة التي أعقبت الكهنة [٢٦] الذين شاءوا إخفاء الحقيقة وإحلال هذه الخرافة الشريفة مكانها ، أصل السر [٢٧] ، وهي التي لم تصل بعد

---

(٢٣) المعابد تعني المزارات وقبور الاجداد وليست بيوت الاوثان فكلمة مزار تحدد بدقة اكثر الصفة التي كان يعطيها الفينيقيون للبيوت المقدسة عندهم .

(٢٤) العمونيون : يبدو ان هؤلاء كانوا جماعة من الكنعانيين في شرق الاردن حيث لا تزال مدينة « عمان » تحمل اسمهم حتى اليوم ، وقد وردت اخبار حروبهم مع اليهود في العهد القديم . كما ورد اسم إله لهم « شمش » كان يدعى أحياناً « مولك » أي الملك . وقد كانوا ذوي حضارة بارزة (قضاة ١١؛ ٢٤ وملوك اول ١١ : ٥ و ٣٣ وملوك ثاني ٢٣ : ١٣) وتبدو علاقة جديرة بالبحث بين عمونيي كنعان هؤلاء والذين ذكرهم هيرودت بين مصر واثيوبيا وهم كانوا يتكلمون لغة بين لغتي الشعبين (هيرودت ٢ : ٤٣) .

(٢٥) ما قصده هنا هو الاساطير والخرافات التي يستعير فيها كاتبوها قوى الغيب اللامحدودة للناس ويربطون بها تحركات عناصر الطبيعة .

(٢٦) أي إلى زمن التدوين الصحيح للوقائع ، لان الكهنة هم الذين كانوا يضيفون الخوارق إلى التاريخ دون تحقق من الوقائع الثابتة .

(٢٧) أي الخوارق والاسرار الالهية التي تتحقق بها المعجزات وتكون وسيلة التكفير عن الذنوب وسبب الغفران وهي في اساسها عقائد سحر بدائية تطورت مع الاديان ولا تزال آثارها في العقائد المسيحية : سر الاعتراف ، سر الميرون ، سر الذبيحة وغيرها .

الى الإغريـق »[٢٨] .

— VI —

(أوزيب)

— ويتابع بعد ذلك :

(فيلون الجبيلي)

— «نحن اكتشفنا هذه الأشياء برغبة حقيقية ثابتة في تعرف تاريخ فينيقيا ، وذلك بعد بحث مواد مختلفة ، عند غير الإغريق ، لوجـود التناقضات وسيطرتها في كتابتهم التي تم إنشاؤها بروح الجدل أكثر من ان تكون حبـا بالحقيقـة » .

(أوزيب)

— وبعد تأملات أخرى يتابع :

(فيلون الجبيلي)

— «إني باق على اقتناعي بأن دراسات سانخونياتن تستحق الثقة ، مع الأخذ بعين الاعتبار جميع تباين آراء الإغريق[٢٩] التي كانت أتاحت

---

(٢٨) الاشارة هنا إلى ان الاغريق لم يكونوا مؤمنين بالاسرار الدينية اليهودية او المسيحية التي تربط حوادث الكون بقوى خارقة غيبية مطلقة ، دون البحث في اسبابها ومسبباتها فآلهة أساطيرهم كانت أقرب إلى الناس بميولها وتصرفاتها .

(٢٩) في إشارة فيلون الجبيلي هذه نجد أول محاولة جادة لتمييز منطق حضارة من منطق حضارة اخرى . فهو كما يبدو ، لم يكن مؤرخاً أو فيلسوفاً صاحب نهج ، بل كان دارس تاريخ وحضارات لأنه كما رأينا يميز ثلاثة مناهج في ➤

لي فرصة لتأليف موضوع في ثلاثة كتب بعنوان «من التاريخ العجيب» .

— VII —

(أوزيب)

— وبعد ملاحظات جديدة ينهي قوله :

(فيلون الجبيلي)

— «إنه من الضروري الإعلان سلفا ، وبكل صراحة ، ومن أجل المعرفة الجزئية[٣٠] لجميع ما تلا ذلك ، أن أقدم البرابرة[٣١] ، وبخاصة الفينيقيين والمصريين ، الذين كانوا كمرشدين لجميع الناس الآخرين[٣٢] ، كانوا

التفكير التاريخي : النهج الفينيقي المحقق ، والنهج اليهودي الغيبي ، والنهج الاغريقي . وما يظهر هو انه حكم على النهج الاغريقي من خلال الجدلية السوفسطائية . وحبذا لو بقيت كتبه الثلاثة عن الاغريق لنطلع على ادلته وحججه لعلنا كنا نجد فيه أول فيلسوف عظيم للتاريخ لانه لا يطلق الكلام جزافاً ، كما يظهر من تقديره لتباين أفكار الاغريق .

(٣٠) يعني هنا المعرفة التفصيلية لجميع الاجزاء .

(٣١) من زاوية النظر الاغريقية كانت تعتبر جميع الشعوب غير الاغريقية من البرابرة . ولا ننس ان ثقافة فيلون كانت ثقافة يونانية . أما ما يعنيه بكلمة « ماتلا ذلك » فهو انتشار فكرة الغيب والألوهة التي كانت ترعبه ويحاول ابطالها ليعيد الفكر إلى الوقائع اليومية .

(٣٢) هناك اكثر من اثبات تاريخي على وحدة المقدسات بين الفينيقيين والمصريين. وهذا ما يحمل على الاعتقاد بان بعض سلالات الكهنة في مصر كان ➤

يرون ان الآلهة الكبار هم أولئك الذين حققوا اكتشافات لمساعدة وجودنا ، أو الذين عمموا الخير ، مهما تكن طبيعته ، بين الشعوب . وقد دعي هؤلاء محسنين ، بسبب أعمال الخير الكثيرة التي يدين لهم الناس بها . وقد عبدوهم كآلهة ، ولهذه الغاية كرسوا لهم هياكل ، كما هي الآن

من اصل كنعاني . فالاله المصري اوزيريس احتضنت جثته شجرة في جبيل وقد حضرت زوجته ايزيس لاخذها كما ينقل ذلك بلوتارك (ايزيس وأوزيريس الفصل ١٤) . كما اكتشف مونتيه تقدمات من المصريين لآلهة جبيل . وهو يرى أن هناك علاقة وطيدة تعود للالف الثالث قبل الميلاد . وعندما نجد ادونيس الفينيقي يمثل روح النبات والاشجار ، وانه تحول إلى شجرة صنوبر لا نستطيع اهمال التماثل بين أسطورة اوزيريس الذي تمثلت جثته شجرة جبيل وبين الاله الفينيقي . بل ان الفرعون بيبي عندما وضعت جثته في تابوت خشبي شبهه أتباعه بالاله « هاي تو » إله « نيغا » أي أدونيس إله جبيل (كونتينو — الحضارة الفينيقية فصل ٢ مبحث ادونيس) ورأى الرأي نفسه جيمس فريزر في كتابه (الغصن الذهبي في ٣١ مبحث ادونيس) . وهناك تمثال هفستس كما يسميه هيرودت . في ممفيس وهو الاله « باس » فقد ذكر المؤرخ اليوناني عند زيارته لمصر ان صورة هذا الاله هي صورة طبق الاصل عن التمثال الفينيقي الذي يضعه البحارة على مقدمة السفن وذكر كونتنو نقلا عن « برو » أن هذا الاله يدعى « باس » وهو كثير الانتشار في مصر وفي المستعمرات الفينيقية وهو يحمل اسم « باس » في مصر وعندما دخل الملك الفارسي قمبيز معبد « الكبيرس » في مصر ، وهو معبد مقدس يحظر الدخول اليه على غير الكهنة ، يذكر هيرودت ان تماثيل الآلهة الكبيرس في المعبد كانت نسخاً متشابهة لهفستس أي للاله الفينيقي التعويذة ، الكثير الانتشار (هيرودت ٣ : ٣٧) . وقد افترض ان الآلهة الكبيرس هي أبناء هفستس ، وسيرد معنا عند سانخونياتن انها من نسله . كما لا بد من الاشارة إلى الاله الشمس في مصر « عمون رع » وإله العمونيين في كنعان « الشمس » (راجع الحاشية ٢٤) .

بالتوارث . كما أقاموا لهم أنصابا وسواري عبدوها باحترام كبير[٣٣]. وقد احتفل الفينيقيون بأكبر أعيادهم على اسم هؤلاء ، كما بنوع خاص تيمنوا باسم ملوكهم الذين كان يعتبر بعضهم كآلهة[٣٤]، لأنهم لم يعترفوا بآلهة طبيعية غير الشمس والقمر والنجوم والكواكب ، وكل ما يدخل في نظام الأفكار هذه : حيث كان لهم آلهة فانون وآلهة خالدون »[٣٥] .

(أوزيب)

— وبعد أن يقوم فيلون بهذه الإيضاحات النافعة في مقدمته ، ينتقل مباشرة إلى ترجمة سانخونياتن الذي يعرض تطور اللاهوت الفينيقي قريبا من هـذا .

---

(٣٣) هذه السواري والانصاب هي التي هاجمها بعنف انبياء العهد القديم . وقد أقام مثلها الكثيرون من ملوك اسرائيل منهم أخاب الذي عاصر النبي ايليا التشبي الذي لجأ إلى الصرفند قرب صور هرباً من ايزابعل زوجة أخاب وابنة أثبعل ملك صيدا وصور . ولا تزال للآن بعض الاشجار مقدسة قرب المزارات القديمة منها شجرة الجليل في قانا وشجرة الصديق في تبنين . (أخبار الايام ٢ — ١٤ : ٣ وملوك أول ١٤ : ٢٣ وأرميا ٣٢ : ٣٥ وغيرها كثير) .

(٣٤) انتقلت عقيدة التيمن هذه إلى المسيحية حيث أصبح الشهداء قديسين شفعاء ، وإلى الاسلام حيث غدا الأولياء ذوي كرامات . وفي الديانتين يتوسل المؤمنون بأسماء هؤلاء لتحقيق أمنياتهم .

(٣٥) في هذه الحالة لا نستطيع تطبيق فكرة الألوهة المتعارفة في مفاهيمنا على العقيدة الفينيقية بالآلهة ، ما دام هؤلاء ينفون صفة المطلق والقدرة الكلية عن آلهتهم بمجرد اعترافهم بفنائهم .

القسم الثاني

لاهوت الفينيقيين

— I —

(تلخيص أوزيب)

— «هو يفترض أن هناك ريحا معتمة عاصفة ، أو هبة هواء مظلم وخواء موحلا جهنميا كان بلا نهاية [١]، في زمن كأنه امتداد [٢].

---

(١) من الغريب ان احداً من المعنيين بموضوع التكوين من العلماء لم ينتبه للنظرية الفينيقية في التكوين ، ولو على سبيل الاستعراض والتطور ، لقد نقل العلماء أشد النظريات إغراقاً في الخيال في مقدماتهم للنظريات الحديثة فذكروا السومرية التي تفترض ان السماء مادة صلبة أبعدها الاله انليل عن الارض ، وان الآلهة ذات السلطة المطلقة هي خالدة وموجودة قبل التكوين ، إلى النظرية المصرية التي تفترض أن الاله « شو » إبن الاله الشمس « أمون رع » يفصل بقامته ومدة ذراعيه الالهة السماء « نوت » عن زوجها الاله الارض « غب » إلى النظرية اليهودية المتجبرة التي تفترض خلق الكون في ستة أيام وترك يوم سابع للراحة . أما نظرية الفينيقيين هذه فلم يأت على ذكرها أحد ، بينما حين التأمل بها نجدها أقرب النظريات للافتراضات العلمية الحديثة . فهي تنص على وجود ريح معتمه عاصفة وخواء موحل بلا نهاية وهذه نظرية الفيلسوف الالماني « كانت » نفسها التي لا يزال يأخذ بها العديدون من العلماء المعاصرين.فعمانوئيل كانت يفترض←

لما هذه الريح — حسب قوله — وقعت في حب مبادئها الخاصة ،

ان كانت هناك غيمة ضخمة باردة مدومة من الغبار والغاز . والفلكيون المعاصرون يلاحظون بمجاهرهم الحديثة وجود غيوم سوداء من الغبار بين النجوم . وقد أضاف العالم الرياضي الفرنسي لابلاس ان الغيمة كانت تدور حول نفسها وتتقلص في الوقت ذاته . أما النظرية الحديثة التي اشترك فيها علماء عديدون من بلاد مختلفة منهم الالماني وإيزاكر ، والهولندي تيرها ، والاميركيان كويبر ويوري ، هذه النظرية تعود لغيمة كانت المعتمه . وقد أطلقوا عليها اسم « نظرية الدوامة » . وهي كما نرى نظرية سانخونياتن الفينيقي نفسها « الريح الموحلة العاصفة المعتمة » .

وهنا نرى ان طريقة الحدس المبني على الملاحظة التي قادت « كانت » إلى نظريته ، هي عينها التي كانت قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام قادت سانخونياتن إلى افتراضه في التكوين وكلاهما ينطلق من منطق واقعي خاضع للمراقبة .

أما كلمة اللانهاية ، فهي النظرية نفسها التي أصعدت « جيوردانو برونو » إلى محرقة مجلس التفتيش الاوروبي سنة ١٦٠٠ ، وهي ما يقول بها معظم الفلكيين المعاصرين عن التمدد المستمر للكون .

وتجدر الاشارة هنا إلى ان نظرية هيزيود الاغريقي تتضمن فكرة ولادة الأرض من « الهوة » دون تفصيل لذلك . (ميلاد الآلهة ١٢٠) وعندما نتابع قصيدة هيزيود ونجد الاشارات الموجزة فيها لحوادث التكوين ، لا نحتاج إلى جهد لنرى أثر النظرية الفينيقية عند هذا الشاعر .

(٢) هذا موضوع ذو أهمية كبرى في نظرية سانخونياتن ، فالزمان الامتداد هذا هو عينه الزمن الملازم للمكان.ولا يمكن للمرء أن يصل إلى مثل هذه ➤

حيث حصل اجتماع قران، دعي هذا التقارب «الرغبة»[٣] . هكذا كان

الفكرة إلا بجهد ومعاناة فكرية تأملية طويلة وعميقة . وندرك من هذا القول أن سانخونياتن بلغ من محاكمات المنطق ما لم يبلغه غير علماء العصر الحديث . ولو عدنا لجميع فلاسفة اليونان ، الذين عالجوا قضية الوجود والزمن ، لما وجدنا أحداً منهم يقفز فوق الوجود الارضي ليعالج قضية الزمن دون الأرض . بل التقوا مع الفلسفة اليهودية بتعريف الزمن وفق مقاييس الأرض له فقسموه إلى أيام وسنوات ودورات كبرى ، كما فعلت الفيثاغورية ، أو أنهم عالجوا موضوعه بالقياس للحركة ، كما فعل بعض الفلاسفة الايليين . أما الزمن بدون الأرض فهو موضوع الساعة في العلم المعاصر . وهذا ما اراده سانخونياتن الذي أدرك ارتباط الزمن الارضي بالأرض فوصفه بالامتداد بدون الأرض ، أي بدون دوائر الشهور والسنوات .

(٣) يظهر لنا أوزيب هنا استخفافه بفكرة سانخونياتن هذه عندما يحشر كلمة « حسب قوله » في النص لان هذه الكلمة لا يمكن أن تكون لفيلسوف . ولكن مفهوم العلم الحديث للتكوين يرينا أن المبادىء هي التي تجمع المادة معاً . وقد استعمل الفيلسوف « أمبيدوكل » كلمة المحبة للاشياء التي تندمج وتتفاعل في القرن الخامس قبل الميلاد . وامبدوكل هو من صقلية كما نعرف ، حيث كان نفوذ الفينيقيين كبيراً . كما أن « طاليس » أول الحكماء السبعة عند الاغريق كان فينيقياً ، كما ذكر ذلك هيرودت الذي عاش بعده بأقل من مئة عام (١ : ١٧١) وهو اول من بحث في طبيعة المادة وحاول إعطاء تفسيرات منطقية لها في أوائل القرن السادس قبل الميلاد . فقد قال بأن كل شيء مملوء بالآلهة،➤

مبدأ خلق جميع الأشياء . ولم يكن لهذه الريح معرفة بما أنتجت (٤).

ومن هذه المساكنة للريح وجد « موت » (٥). وتلك كانت البذرة

كما ذكر ذلك عنه أرسطو في كتابه « النفس » والالهة هنا عند طاليس هي القوى الطبيعية ذاتها التي قال عنها الفينيقيون آلهة ، وليست الآلهة ذات النزوات والسلوك الارادي المطلق ، كما هي الحالة عند « يهوه » اليهودي أو عند آلهة الاغريق والرومان .

وأمام العقيدة الفينيقية المادية للكون ، لا نستطيع تفسير هذه الفكرة الا بالتكون الذاتي للكون ، أي بالتفاعلات الفيزيائية التي أباح الفينيقيون لانفسهم تسميتها بالحب وبالرغبة ، مستعيرين هذه الانفعالات الذاتية من الانسان . ومن يقرأ نظرية المعرفة عند « أمبدوكل » الصقلي والنظرية المادية عن الكون لدى « طاليس » الفينيقي يدرك أهمية التفسير المادي الفينيقي للكون . ونرى هنا ان الفينيقيين قالوا بمادية الانسان عندما نجدهم استعملوا انفعالات فيه كالحب والرغبة صفات للمادة وتفاعلاتها . وهذه هي نظرية المادية المعاصرة التي يأخذ بها تسعون بالمئة من علماء العالم الحديث .

(٤) في هذه الجملة توكيد واضح لمادية حركة الخلق وعدم وجود وعي لها وارادة تسيرها من الغيب .

(٥) كلمة « موت » هي الكلمة السامية المستعملة بالعربية . وقد وردت بالمعنى نفسه في أساطير أوغاريت ، وبخاصة في ملحمة البعل وعناة . ولكنها كانت تعني أحياناً قوة من قوى الطبيعة كقوة الشمس في حياة النبات والحيوان . ولعل ملاحظة الكاتب لانطلاق الحياة من الاجسادالميتة أو المواد المتخمرة العفنة هي التي أوحت اليه اعتبار الموت البذرة للخلق وأساس جميع الاشياء ، ما دامت بدائية الحياة تتمثل بالدودة التي تظهر في الجثة المائتة أو الفاكهة المهترئة .

الوحيدة للخلق وأساس جميع الأشياء .

منها جاءت الحيوانات ، ولكن بدون حساسية (٦). وهذه بدورها ولدت الحيوانات العاقلة المدعوة شوفسمين (٧) ، يعني مراقبة السماء .

كان لموت شكل بيضة عندما تكوّن (٨) : غدا مضيئا فأنتج الشمس والقمر والنجوم والمجموعات الكبرى للنجوم » (٩) .

---

(٦) هي إشارة هامة لظاهرة الحياة الأولى قبل تطورها ليخرج منها الانسان العاقل . وهذه النظرية هي التي يأخذ بها العلم الحديث الذي يرفض رفضاً باتاً النظرية اليهودية للخلق التي تفترض خلق الانسان والحيوانات كما هي الآن دون مرورها بمراحل سابقة .

(٧) لا زلنا نستعمل كلمة شاف بمعنى رأى ، وسمين هي بمعنى السماء وهما كلمة فينيقية مركبة لتعريف الانسان بكونه « المتأمل في السماء » وأراها تؤدي نفس المعنى اللاتيني الذي يريده العلماء من كلمة « هوموسابيان »

(٨) هنا يصبح « موت » قوة التحول ورمز الحياة وواقعها في البيضة . ولا تزال البيضة حتى الآن تعتبر رمز الحياة ، وهي التسمية التي تطلق على كل وعاء دموي يستقبل اللقاح في الأحياء .

(٩) إننا أمام فكرة علمية جبارة ، وصل بها سانخونياتن إلى منتهى الدقة حين اعتبر ان الريح المعتمة تتحول إلى مضيئة فتنتج عنها الشمس والقمر والنجوم . وهذا بالذات ما قاله « كانت » عن الغيوم السوداء التي تتحول إلى نجوم . وهو ما يأخذ به العلماء المعاصرون لملاحظاتهم الغيوم السوداء الكثيفة بين النجوم . فهل يكون سانخونياتن أخذ فكرته عن ملاحظته الدخان الكثيف الاسود عندما يلتهب ؟ انها على كل حال أفكار تدل على مراقبة واقعية لنواميس الطبيعة ، كما تدل على ذهن علمي عظيم يستنتج المجهول من خلال المعروف الذي يمكن تطبيق التجارب عليه لاختباره .

— II —

(أوزيب)

— تلك هي النظرية الكونية للفينيقيين ، وهي تقوم بوضوح على الإلحاد [١٠] . ولننظر الآن كيف بدأ توالد الحيوانات . فهو يقول :

(سانخونياتن)

— عندما أصبح الهواء لامعا باللهب نشأ البحر واليابسة من الرياح ، ومن الغيوم ومن زخات غامرة من مياه السماء [١١]. وبهذا الشكل بعد أن

---

(١٠) كم كان غريباً عن مناهج العلم هذا الاوزيب المتدين . فكل ما كان يهمه هو تصنيف الناس إلى ملحد ومؤمن . وعلينا أن نذكر هنا أن هذا الاسلوب ذاته هو الذي قضى على العديد من المنجزات الثقافية والحضارية . ولا يهم بأي وجه من وجوه التدين جاء ما دامت النتيجة دائماً كانت متماثلة. ولعل هذا الحكم السقيم هو ما أدى إلى ضياع آثار سانخونياتن وفيلون الجبيلي وأمثالهما من أبناء الحضارة الفينيقية .

(١١) إنه الوصف ذاته الذي يعطيه العلماء المعاصرون لحركة برودة الأرض وتجمع المياه في المحيطات وحدوث الامطار الكثيفة بسبب الحرارة المرتفعة ، أو بفعل الابخرة البركانية التي كانت تصعد للجو فتبرد وتسقط أمطاراً كثيفة .

انقسمت وافترقت الأشياء في أمكنتها الخاصة، بفعل حرارة الشمس [١٢]، التقت من جديد في الهواء ، فاصطدمت ببعضها بشدة نتجت عنها الرعود والبروق . [١٣]

وعلى ضجيج هذه الرعود استيقظت الحيوانات العاقلة التي تحدثنا عنها، بعد أن اخترقها الذعر [١٤]. وراح الذكر والأنثى يتنقلان على اليابسة،

---

(١٢) ان الاشياء المعنية هنا هي البحر واليابسة اللذان كانا رياحاً وغيوماً وزخات من المياه . وهو توكيد على نظرية وجود الأرض كسديم في البدء . أما حرارة الشمس هنا فقد يكون أخطأ بتوقيت زمن فاعليتها . كما يفترض العلم المعاصر ، لكنها هي تفصل المياه عن اليبس بفعل التبخير . ويبدو انه من هذه الظاهرة افترض للشمس فاعلية الفصل بين الاشياء .

(١٣) وفق هذه النظرية يكون سانخونياتن أول من اكتشف ان البرق والرعد هما نتيجة اصطدام للمادة في الجو . وحسب نصه ، نجد هناك مادة تبخرها الشمس ، وتعيدها من جديد للجو حيث تصطدم ببعضها وتحدث البروق والرعود . وهي نظرية في منتهى الجرأة لما فيها من كشف عن ان الغيوم المشحونة بالماء الذي يضاد النار ويطفىء نورها هي التي تحدث البرق والصواعق الحارقة عندما تصطدم معاً .

(١٤) وهنا أيضاً نظرية راقية تنم عن تجربة واختبار ، وهي : أن يأتي الوعي بعد الذعر والخوف . وهذه الظاهرة تؤكدها مراقبة التغيرات الفسيولوجية التي تطرأ على جسم الانسان عندما يتعرض للذعر وينشط دماغه للعمل وقلبه لضخ الدم بسرعة للدماغ وباقي الاعضاء .

وفي البحر » (١٥).

(أوزيب)

– وهذه كانت نظرية انطلاق الحيوانات عندهم .

— III —

(أوزيب)

– ويتابع المؤلف نفسه عن رئيسه قائلا :

(فيلون عن سانخونياتن)

– «هذه الأمور وجدت مكتوبة في النظرية الكونية لتأوتس . وبالاستناد إلى مذكراته المعتمدة على الحدس والمبادئ كاعتمادها على الذكاء الثاقب استشفها سانخونياتن وأعلنها » (١٦) .

---

(١٥) هنا تشديد على النظرة الشاملة للحياة وانقسامها إلى حيوانات برية وأخرى بحرية ، مع وجود ناموس واحد يجمعها في جنسين : الذكورة والانوثة .

(١٦) هذه الاشارة إلى « تأوتس » تثبت لنا ما ورد من ان سانخونياتن كان جمع عقائد الفينيقيين وأفكارهم وتاريخهم من الهياكل ، ولم يكن المؤلف لها . ولغياب هذه النظرية الكونية عن مهمات الاله « لتأوتس » مصر رغم تشابه مهماته بين البلدين نستطيع القول بأن « تأرتس » هذا هو إنسان حكيم كنعاني امتزجت صفاته ومناقبه بمناقب الاله المصري ذي الاسم نفسه . وهما في الأصل شخص واحد .
أما العقائد هنا فهي تعني ، الموروثات بفعل النشأة والتربية والقصص الشعبي .

(تلخيص أوزيب ؟؟)

وبعد هذه الأشياء أعطى اسم الرياح نوتس (Notus) وبوريه (١٧) (Borée) والآخرين . وهؤلاء هم الذين أوقف عليهم القدماء جدا منتجات الأرض (١٨) : دعوهم آلهة وعبدوهم كأنهم هم الذين يعاضدون الكائن (١٩). وكذلك فعل أسلافهم وخلفاؤهم في ميدان الحياة. وقد جعلوهم يوافقون على سكب التقدمات وانتشارها لأجلهم . ويضيف :

(سانخونياتن ؟)

– «هكذا كانت ابتكارات العبادات الدينية متوافقة مع الضعف

---

(١٧) الاشارة هنا إلى « تأوتس » الذي صنف ظواهر الطبيعة وأطلق على كل منها اسماً مناسباً . فميز الريح الجنوبية وأسماها « نوتس » وميز الريح الشمالية وأسماها « بوريه » . أما الآخرون المعنيون هنا فهم على الأرجح اسماء الرياح الباقية : زيفيروس (الريح الغربية) ويوروس (الريح الجنوبية الشرقية) .

(١٨) من الطبيعي أن يربط الانسان بين مواسمه ومنتجاته وبين الرياح المختلفة التي توثر بهذه المواسم والمنتجات . ومثل هذا الربط صنيع اخلاقي كمن يعهد للص أن يكون حارساً ، أو كمن يستثير نخوة عدوه بالاستجارة به .

(١٩) علينا ان نذكر ان تأليه الكنعانيين لظواهر الطبيعة هذه كان كتأليههم للابطال الذين يقومون بعمل ما مفيد وهو ليس تأليهاً مطلقاً كما نرى ما داموا كانوا يصنفون الآلهة إلى آلهة خالدين وهم قوى الطبيعة ومنها الرياح ، وإلى آلهة فانين هم الابطال وصانعو الأعمال العظيمة والمفيدة .

وصغّار النفس عند واضعيها »(٢٠) .

— IV —

(أوزيب)

وقال بعد ذلك :

(سانخونياتن)

— «ومن الريح كولبيا (Kolpia) ، ومن امرأته بأو (Baau) — التي يترجمها بكلمة ليل (Nuit) — ولد الإنسانان الفانيان أيون (AEon) وبروتوغون (٢١) (Protogone) . وقد اكتشف أيون

---

(٢٠) هنا فكرة متحررة من كل ضغط عقائدي أو تاريخي . وهي تعادل الثورة الماركسية على غيبيات الدين وتهويماته ، لكنها أقرب إلى ثورة نيتشيه . وبما فيها من جبروت واعتداد بالنفس تدعو إلى تمجيد الانسان وحثه على قهر الطبيعة التي لا يرهبها ويؤلّهها الا الضعفاء وصغار النفوس الذين يبتكرون القصص والمواصفات المتجبرة للطبيعة ليبرروا هزيمتهم أمامها . والقارىء يتحسس في هذا القول نزعة « نيتشويه » للسوبرمان تدفعنا للربط بينها وبين روح المغامرة والمخاطرة التي كانت تدفع الفينيقيين إلى ارتياد المجاهل ونشر المستعمرات في البلاد الغريبة دون خوف أو وجل .

(٢١) من هنا تبدأ قصة مشابهة لقصة آدم وحواء التوراتية في تسلسل البشر . لكن آدم وحواء هنا من مواليد الطبيعة، من الريح كولبيا التي لها صفات الروح كما يبدو ، ومن الليل « باو » أو الحمأة الطينية السوداء ، اذا ما شئنا العودة للنظر

الغذاء الذي تقدمه الأشجار (٢٢) وهذان كانا أهل جينوس (Génos) وجينية (٢٣) (Généa) اللذين سكنا فينيقيا . حدث جفاف كبير فمدا أيديهما نحو السماء والشمس» .

(تلخيص أوزيب)

— قال بأنهم كانوا يرون هذه كالإله سيد السماء ، وقد سموها

إلى المادة الأولى للكون كما افترضها الفينيقيون . وقد ولد لهذين الانسانين ولدان ، واحدهما يدعى « أيون » وهو مكتشف الغذاء من الشجر والاخرى هي « بروتوغون وهي في الاساطير الاغريقية أول امرأة أنجبها الانسان ، وهكذا يبدأ آدم وحواء الفينيقيان . ولعل كلمة « باو » في الأصل كانت تعني مادة الانوثة ، وليس امرأة كما أوصلتها الينا الترجمات المختلفة . لأن باو وكولبيا هما في مرحلة سابقة لوجود الانسان كما يدل سياق النص . وقصة خلق الانسان والجان هنا كثيرة القرب من قصة الخلق الاسلامية كما وردت في سورة الحجر (٢٦ — ٢٩) .

(٢٢) في هذه الاشارة ايمان كبير بحرية الانسان في استكشاف العالم حوله واختبار معطياته بنفسه ، دون دليل او وصية وصي ، أو ارشاد مرشد .

(٢٣) يبدو أن كلمتي « جينوس » و « جينيا » في الأصل السامي جن وجنية وولادة هذين من نسل الريح افتراض مألوف كما يبدو عند الساميين لذكر الآية ذلك « والجان خلقناه من قبل من نار السموم » (الحجر ٢٧) والسموم كما نعلم هي الريح اللافحة الحارة . أما بادرة جن وجنية بعد سكناهما فينيقيا فكانت أنهما مدا أيديهما نحو السماء والشمس للتضرع والدعاء ، وهكذا فعل الجان في السجود والتعبد .

«بعلسمين» ، وهذا يعني عند الفينيقيين «سيد السماء» [٢٤] وهو زيفس (جوبيتر) عند الإغريق . وبعد ، يهاجم فيلون ضلال الإغريق :

(فيلون الجبيلي)

«ولا نقوم بهذا التمييز بدون أساس ، بل لإقامة المبدأ الحقيقي الذي عليه يتم احتقار هذه الأسماء المستعملة للأشياء . وهذا ما جهله الإغريق وأخذوه على وجه آخر ، بعد أن ضللتهم أخطاء الترجمة» [٢٥] .

---

(٢٤) ربط الفينيقيون ربطاً محكماً بين الشمس ووجود الحياة على الأرض . فهي بفعل حرارتها كما رأينا وضعت الاشياء في مكانها.وهنا نجدهم ربطوا بينها وبين المطر والخصب ورأوها ذات سلطة على مصائر حياة الناس تعادل سلطة «زفس» الاغريقي أو «جوبتر» الروماني . وفي هذه النظرية موضوعية واعية لا مأخذ عليها بالنسبة للمتأملين الأول . ولا بد من الاشارة إلى أن اسم بعلسمين كاله ورد في عقد عمل بين اسر حدون وملك صور في القرن السابع قبل الميلاد ونقله كونتنو في فصل «الفتوحات الاشورية» من كتاب الحضارة الفينيقية .

(٢٥) لقد حرمنا «أوزيب» من تفصيلات كثيرة لا بد ان يكون ذكرها فيلون الجبيلي قبل أن يصل إلى ايضاح غايته هذه . ولا أظن هذه التفصيلات إلا ايضاحات لتقديس الفينيقيين لقوى الطبيعة هذا التقديس الذي اخطأ الاغريق باقتباسه وظنوه تأليها مطلقاً . ولا نستطيع الا الثقة بقول فيلون هذا ، ما دام هو لكشف أسباب خطأ الاغريق وما دام كان عارفاً باللغتين وذا قدرة على الدرس والاستنتاج .

- ٧ -

(أوزيب)

– ثم يتابع :

(سانخونياتن)

– «ومن جنوس ابن أيون وبروتوغون ولد أبناء آخرون فانون، [٢٦] وقد دعوا : فوس (Phos) وبير (Pyr) وفلوكس (Phlox) (النور والنار واللهب) [٢٧] . وهؤلاء هم الذين ابتكروا النار بحك قطع من الخشب ، الواحدة على الأخرى . وعلموا هذه الطريقة للآخرين [٢٨] وكان لهم أبناء ذوو عظمة وسيادة بارزة ، وقد أعطوا أسماءهم للجبال التي كانوا حكاما لها .

---

(٢٦) ورد في أكثر من مكان تشديد على تعريف الابطال المؤلهين بذكر صفة الفناء إلى جانب اسمائهم وذلك للتمييز بينهم وبين قوى الطبيعة المؤلهة .

(٢٧) نجد هنا اقتران اسم الجن بأسماء النار بعد اقترانه باسم الريح كولبيا . وذلك ما يؤكد لنا الأصل السامي لهذه الفكرة عن الجن . وهي ما عناه القرآن ولم يرد ذلك في قصة التكوين والخلق العبرية .

(٢٨) لتوكيد نظرية البطولة المؤلهة نجد في سيرة حياة كل بطل كنعاني عملا خارقاً أو وظيفة مبدعة للفائدة العامة . وهذا ما أخذته الاساطير اليونانية وتوسعت به بعد ذلك دون قيود فأصبح من الخرافات .

ومنهم جاءت أسماء كاسيوس ، ولبنان ، وانتيلبنان ، وبراثي [٢٩] (Brathy) . ومن هؤلاء دق يوم سممروومس (Samemroumos) وهو هبسورانيوس (Hypsouranios) (علو السماء) » [٣٠] .

(تلخيص أوزيب)

— وقد لاحظ أن الرجال ينسبون لامهاتهم ، وأن النساء يستسلمن بدون خجل لأول عابر [٣١] سبيل فقال متابعا :

---

(٢٩) قد تكون اسماء بعض الجبال حشرت حشراً بين اسماء اجداد الكنعانيين ، لكن هذا لا يمنع من استنتاج العلاقة التي كانت تربط بين هذه الاماكن عندما تنسب لاب واحد . أما اهتمام الكنعانيين بالجبال والمرتفعات فقد كان لاقامة المزارات والمعابد فوقها بشهادة العهد القديم اليهودي (ارميا ٣٢ : ٣٥ وسفر الملوك الثاني : ٢٣ : ١٣ وغيرها). وجبل «كاسيوس» هنا هو الجبل الاقرع في شمال سوريا قريب من أوغاريت.وجبل لبنان هو ما نعرفه وانتيلبنان هو السلسلة الشرقية المقابلة له . أما « براثي » فلم نستطع تعيينه ، وربما يكون جبل الجرمق في الجليل لانتشار الآثار الكنعانية فيه وحوله . ولا بد من التذكير بأن أول عمل قام به رواد القمر هو انهم أطلقوا اسماء زوجاتهم على ايجبال القمرية .

(٣٠) هبسورانيوس هي توضيح للكلمة السامية سممروم ، وكلمة « دق » هي التعبير نفسه الذي استعمله المترجم دي سانت بريسون .

(٣١) هي إشارة واضحة لعائلة الأمومة التي سبقت المجتمع الابوي الذي بدأ يساعد فيه الرجل المرأة على تربية الصغار وتعهد غذائهم ، بينما راحت المرأة فيه تختص برجل واحد يكون رباً لعائلتها . وهذه الاشارة وجيهة ←

(سانخونياتن)

— «إن هبسورانيوس سكن صور وابتكر أكواخ القصب والخيزران والبردى [٣٢] . وقد تشاجر مع أخيه أوزوس الذي تخيل جمع جلود الحيوانات التي يحصل عليها ليعمل منها دثارا لجسده [٣٣] . وحدثت أمطار شديدة ورياح عاصفة خربت صور وكسرت الأشجار ، واشتعلت النار في الغابة فأحرقتها .

أخذ أوزوس شجرة ، وجردها من أغصانها ، وغامر بها في البحر

وذات أهمية كبرى بحيث نستنتج منها ان السكان الذين لقيهم الكنعانيون في لبنان عندما جاءوا للاستيطان فيه كانوا يعيشون بنظام الأمومة في عائلاتهم . وهذا تأكيد على قدم المرويات التي ينقلها سانخونياتن وأصالة وقائعها .

(٣٢) نستنتج من هذا أن هبسورانيوس كان أول من بدأ ببناء مدينة من الأكواخ على الشاطىء مقابل جزيرة صور .

(٣٣) خلاف هذين يشبه خلاف عيسو ويعقوب على « بركة » والدهما اسحق في العهد القديم . وقد لبس عيسو الجلود ليصبح كأخيه ويخدع والده (تكوين ٢٧ : ١٦ و ٢٣) . ولنر التشابه بين اسمي عيسو واوزوس . وتذكر الرواية اليهودية أن عيسو كان صياداً في البراري بينما كان أخوه يعقوب انساناً يسكن الخيام (تكوين ٢٥ : ٢٧) ويبدو انها متأثرة بالفكرة الكنعانية أو هي ذاتها دونها كاتبو العهد القديم .

فكان أول من فعل ذلك [٣٤] . وقد أقام نصبين : واحد للنار والآخر للريح وعبدهما بنشره هناك دماء الحيوانات التي اصطادها [٣٥] » .

(تلخيص أوزيب)

— ولما مات هؤلاء ، قال بأن أولئك الذين خلفوهم أوقفوا نصبا وسواري قاموا أمامها بمراسم العبادة ، وأقاموا الأعياد السنوية على شرفهم [٣٦] .

— VII —

(سانخونياتن)

— «وقد انقضت قرون منذ عصر هبسورانيوس [٣٧] ، حتى ولد

---

(٣٤) هنا اشارة لعاصفة ماطرة وصاعقة طبيعية أحرقت الغابة ودفعت بأوزوس إلى الفرار على جذع شجرة إلى الجزيرة القريبة التي لم تصلها النار .

(٣٥) هذا توكيد على ان الذين جاءوا لاستيطان لبنان من الكنعانيين كانوا ذوي حضارة ، ولهم دين وطقوس عبادة ينثرون بموجبها دماء الحيوانات حول مقدساتهم . ويثبت هذا ما ورد عن المجتمع الذي وجدوه عند مجيئهم والذي كان يدين بنظام الامومة العائلي كما ذكرنا في الحاشية (٣١) أما النصبان كما نرى فهما للقوى الطبيعية التي درج الكنعانيون على تقديسها وتأليهها وفق مفهوم التأليه عندهم كما في حاشية (١٨)» .

(٣٦) لا تزال من العادات العالمية المألوفة اقامة ذكرى سنوية لوفاة العظماء . وقد ورثت المسيحية هذه العادة باقامة ذكرى قديسيها كل سنة . أما النصب والسواري فهي مألوفة على القبور حتى اليوم .

(٣٧) لا يتابع سانخونياتن تسلسل الاجداد كمتابعة اليهودية لها منذ آدم.

أغروس [٣٨] (Agreus) وإليوس [٣٩] (Alieus) اللذان ابتكرا

فهو يدرك الفجوات الزمنية بين جد عظيم وآخر مماثل له في الشهرة والعظمة . ولهذا نجده يشير هنا إلى الفراغ الزمني الذي علينا بدورنا ان نأخذ به للفصل بين حادثة واخرى أو جد وآخر . وهذه الملاحظة تعارض النظرية اليهودية في التكوين التي تحدد عمر الكون ٤٠٠٤ سنوات قبل الميلاد .

(٣٨) رأى المترجم دي سانت بريسون تقارباً بين هذا الاسم ومدينة الحجر التي هي «البتراء» ، ولكن اسم المدينة جاء من كلمة الحجر العربية لكونها منحوتة في الصخر . ونحن نرى تقارباً بين هذا الاسم ومدينة أوغاريت الكنعانية في شمال اللاذقية . أما السين بدل التاء فيمكنه أن يكون استبدالا يونانياً .

(٣٩) لا بد من الإشارة إلى ما في هذا الاسم من تقارب مع اسم مدينة Eleusis في أتيكا في بلاد الاغريق . فآثار تلك المدينة ليست اغريقية في أصلها . وهي كانت تقدس الالهة «ديمتر» كالهة عظمى . وديمتر كما يذكر لنا هيرودت كانت من معبودات الفينيقيين الخاصة ، وكان لها طقوس سرية عندهم (٥ : ٦١) وهذا يتفق مع علاقة أتيكا بالفينيقيين (الحاشية ١١٤) . وهذا يرجح رأي فكتور بيرار القائل بأن حضارة الاغريق جميعاً من أصل فينيقي ، وأن الفينيقيين استعمروا بلاد الاغريق قبل نهضتها (الفينيقيون والاوديسيه) . كما نرجح هنا أن هذا الاسم هو نفسه الذي ورد في أسطورة «كارت» في محفوظات أوغاريت (اللوحة ٣ عمود ٤ — فريحه) وهو يوصف بأنه نجار الاله . وتجدر الاشارة إلى ان يونابيوس ذكر قبائل بهذا الاسم كانت تقدس كهنتها أثناء تأديتهم الطقوس الدينية وذلك عند الكلام عن ادريان الصوري (حياة السوفسطائيين) .

صيد البحر وصيد البر. وقد أعطى هذان اسميهما لهاتين الحرفتين [٤٠]؛ ومنهما وجد أخوان مبتكران للحديد ، ولكل المصنوعات التي تعتمد عليه [٤١] . وأحدهما وهو كرايزر (Chrysor) انكب على تأليف الخطابات وعلى السحر والنبوءات ، بينما هيفستس (Vulcain) (Hephoestus) هو الذي أوجد الصنارة والطعم وقصبة الصيد والطوف.

(تلخيص أوزيب)

وقد أبحر قبل كل الناس ، ولذلك، بعد موته ، عبد كإله، ودعي زوس ميشيوس [٤٢] (Zeus Michius) . وهم يقولون أن أخوته

---

(٤٠) انه تصنيف كنعاني لنوعي الصيد تفتقر له اللغة العربية ، حيث تطلق كلمة « صيد » العربية على ما للبر والبحر معا .

(٤١) لم يشذ التسلسل حتى الآن عن القاعدة الرئيسية في تقديس الجدود الذين ادوا خدمات للانسانية أو قاموا ببطولات لاجلها . ولهذا نجد حقبات الفراغ في التسلسل الكنعاني تلك التي لم يوجد فيها أبطال ومكتشفون . ولا نستغرب ان تصبح هذه الاسماء شراكة بين الفينيقيين والاغريق ، ما دامت تدل على موضوع انساني عملي مشترك ، ولا تزال تقاليد حمل المكتشفات العلمية اسماء المكتشفين مألوفة في العلم الحديث . وقد بدأ يظهر هنا التدخل الاغريقي بالاسماء والمرويات .

(٤٢) قد يكون « كريزر » هنا « كاشر » نفسه الذي ورد مع اسم « خاسس » كصناعيين تقنيين في محفوظات أوغاريت ، وبينما نجد هنا ان هيفستس. هو أول من استعمل الصنارة والطعم ، وأبحر قبل كل الناس ، نجد أننا قرأنا في نص الحاشية٣٤ ان اوزوس كان أول من أبحر على جذع شجرة.والمترجم الفرنسي➤

ابتكروا البناء بالآجر — ويتابع بعد ذلك أن من هذه السلالة خرج فتيان دعي الواحد منهم تقنيتس [٤٣] (Téchnités) ، وهو محترف ، والآخر (أرضي) أوتوكتون [٤٤] (Autochtone) . وهؤلاء

ذكر ان الجملة اليونانية طويلة ومرتبكة في الأصل لكونها مكتوبة بصيغة مصدرية وتحمل بعض الغموض . وهذا ما يجعلنا نرجح وجود سقطة في النسخ . والتوحيد بين هيفستس وزوس ميشيوس لا يثير الشك لان هذا الاخير هو اوزوس نفسه مع بعض تحريف في اللفظ . وكريزر واوزوس معاً هما عينهما « كاشر وخاسس » الفنيان اللذان ارتبك المترجمون بهما في النصوص الاوغاريتية . ويأتينا الاستدلال اليهما بطريق المهارات التقنية التي اتصفا بها . كما لا بد من الاشارة إلى ان الاسمين وردا متحدين كذلك في سفر التكوين « اوز وغاثر » وهما هناك من ابناء آرام حفيد سام بن نوح (تكوين ١٠ : ٢٣) .

اما كريزس عند الرومان فهو كاهن « أبولون » إله الحضارة والجماليات . وهيفستس اليوناني أوفولكانوس الروماني هو اله النار والصناعة وهو حداد ماهر واسع الحيلة بفنونه — يبني قصور الآلهة وهي المهمة نفسها التي يقوم بها خاسس في محفوظات اوغاريت .

(٤٣) من المرجح ان تكون هذه الكلمة سامية وهي والكلمة العربية « تقن » من أصل واحد . وهي تعني حتى اليوم في اللغات اللاتينية المهارة في الاحتراف . تماماً كما هي وظيفة هذا الجد الكنعاني ، المحترف الذي أعار العالم اسمه .

(٤٤) أوتوكتون تعني المواطن الاصلي المرتبط بالارض ، كما يعرفها القاموس اللاتيني .

تخيلوا مزج الصلصال المبلول بالقش ، وجعلوه يجف بالشمس ليصنعوا منه لبنات البناء (٤٥) ، كما اهتدوا كذلك إلى إشادة السقوف » .

— VIII —

(سانخونياتن)

— «وجاء منهم آخرون ، بينهم اسم أغروس Agros ، ثم أغرويرس (Agroueros) وأغروتس Agrotés الذي لتمثاله ومعبده الخفيف الحمل والنقل احترام كبير في فينيقيا (٤٦) . ويعتبره سكان جبيل ، على الأخص ، أكبر الآلهة . وهؤلاء هم الذين عرفوا

---

(٤٥) ان هذه الاشارة تثبت لنا انتشار الكنعانيين في البلاد السهلية الواسعة البعيدة عن شواطىء لبنان وجباله حيث لا تدعو الحاجة هنا إلى استعمال لبنات الطين المشوية للبناء لتوفر الحجارة اللازمة لذلك .

(٤٦) هذه الاسماء تحمل تحريفاً كما يبدو . واذا ما اخذنا اسم « أغروتس » المقدس في جبيل مفتاحاً لمعرفتها يكون الاسم الشهير له في بلاد الاغريق «زاغروس » وهو ديونيسيوس أي أدونيس المقدس في جبيل. وزاغروس في بلاد الاغريق هو أحد الكبيرس (راجع الحاشية ٥٣) . وما يثبت ان الكبيرس هم من أصل فينيقي ملاحظة هيرودت من ان تماثيل الكبيرس في ممفيس تشبه إلى درجة كبيرة المسخ الذي يضعه الفينيقيون على مقدمة سفنهم « باتايسي » (هيرودت ٣ : ٣٧) (وراجع الحاشية ١٢٠ لمعرفة وظائف الكبيرس) .

فكرة الباحات أمام المنازل ، وعملوا تصوينات وكهوفا (٤٧) . وهم الذين تحدر منهم الصيادون ذوو الكلاب . ويدعونهم قبائل تائهة ، وتيتان (٤٨) (Titans) .

وهؤلاء خلفوا أمنون (Amunon) وماغون (٤٩) (Magon)

---

(٤٧) نجد هنا اشارة إلى تقدم فن البناء في مدينة جبيل . فالباحة والتصوينة للمنزل اشتهر بهما العرب فيما بعد واضافوا لهما بركة الماء في وسط الباحة . اما الكهوف فيبدو انها كانت تستعمل مستودعات في مدينة جبيل ، كما تستعمل الاقبية والابنية تحت الارضية في الحضارة الحديثة . ولو كانت اقتصرت على استعمالها مدافن كما نجدها في حفرياتنا لاشار لذلك .

(٤٨) اذن يكون الفينيقيون في جبيل اول من استخدم الكلب للصيد . وهنا الاشارة إلى فئة كانت تتخذ الصيد البري مهنة لها واذا ما شئنا ان نجد خلفاء لهذه القبائل في ايامنا هذه فنحن نجد في الغجر في اوربا وفي « النوَر » في بلادنا أقرب فئة ينطبق عليها وصف « قبائل تائهة » ولا نعدم وجود نوري اليوم في احدى المناطق الجبلية في لبنان يصطحب كلبه معه ليبحث عن جحر « غرير » أو « قنفذ » يكون صيداً له ، وكلمة « تيتان » هنا هي إيضاح كما يبدو ، مستعار من الاساطير الاغريقية . وهم اغتالوا ا ديونيسيوس . ومن صفاتهم انهم كانوا يصبغون وجوههم بالطباشير البيضاء للتمويه (الغصن الذهبي ف ٤٣) والأرجح أنه قصد صفة الخروج على أعراف المجتمع لدى التيتان لوصف قبائل الصيادين هؤلاء بها .

(٤٩) ذكر جوزيفس قبراً مقدساً لمنون قرب عكا . أما « ماغون » فهو اسم فينيقي معروف سمي به أخو هنيبعل.ولعله مع بعض التحريف أصبح اسمه ➤

اللذين خططا القرى والمراعي التي منها ولد ميسور (Misor) وصديق (Sydyc) [٥٠] ، أي المتحرر والعادل ، واكتشفوا صناعة الملح . ومن ميسور ولد تأوتس الذي اكتشف الكتابة وصاغ ، أولا ، الحروف . ويدعوه المصريون ثور (Thoor) والإسكندريون ثوث والإغريق هرمس (مركور) [٥١] .

« ماكيون » في الالياذة وهو هناك ابن اسكليبيوس اله الشفاء الذي يحمل اسم « اشمون » في فينيقيا . وهو ابن « صديق » كما يذكر ذلك « داماشيوس » الذي يؤكد الاصل الفينيقي لاسكليبيوس (نقل ذلك كونتنو في الحديث عن ادونيس في « الحضارة الفينيقية ») وسنجد هنا ان اسم « ماغون » يقترن باسم « صديق » . والطب والشفاء ، كما يقترن اسم ماكيون باسكليبيوس والطب والشفاء في الالياذة (٢ : ٧٣١ و ٢ : ٧٢٩ — ٧٣٣ و ٤ : ١٩٤ — ٢١٨ و ١١ : ٥١٨) وهذا الشبه بين نص الالياذة ونص سانخونياتن يثبت لنا الرواية مع اثباته للتداخل الحضاري القديم بين الاغريق والفينيقيين .

(٥٠) اذن هذان الجدان المؤلهان قرويان ، كانا يعيشان في القرى والمراعي . واذا كنا لم نعثر على اثر ثابت لميسور بعد ، فاننا لا زلنا نقدس مزاراً باسم « النبي صديق » في جنوب لبنان ، قرب بلدة تبنين . وهذا المزار قديم يدل على قدمه اقترانه بكلمة « النبي » التي تثبت انه يعود لما قبل الاسلام والمسيحية . ولا بد من الاشارة إلى ان رينان يرى ان اسم ميسور هو نفسه مصرايم لكونه والد تاوتس الاله المعروف في مصر .

(٥١) ان هذه الاشارة إلى صياغة الحروف تثبت الاصل الفينيقي للاله الفنان « تاوتس » فالكتابة المصرية كانت هيروغليفية تصويرية ، بينما الكتابة الفينيقية

ومن صديق ولد الديوسكورس [٥٢] (Dioscures) ، أو ، كبيرس [٥٣] (Cabires) ، أو ، كوريبانتس [٥٤] (Corybantis)

هي التي اعتمدت الاحرف الرمزية التي لا زلنا نستعملها ، والتي يحتاج شكلها إلى صياغة وابتكار . وهنا لا بد من الاشارة إلى كثرة ترداد الاسم المصري «ثور» كصفة للاله إيل في محفوظات أوغاريت ، كما عند تعريف بلاد الاله إيل تعرف مصر بأنها « كرسي موطنه وارض ميراثه » (ملحمة البعل وعناة ٧ : ٦ : ١٥ — ١٦) . أما سلطة الاله تأوتس على التطور الحضاري القديم فتبرزها لنا الوظائف والمهارات التي اسندها الاغريق له تحت اسم « هرمس » وأسندها الرومان تحت اسم « مركور » . وهو لا زال يحافظ على ملامحه الفينيقية في تاريخ الشعبين ومن هذه الوظائف ابتكار الحروف الابجدية .

(٥٢) يبدو هنا فيلون وكأنه يبحث عن هوية يونانية — رومانية لهذه الجماعة التي جاءت من سلالة صديق ، لهذا نجده اكثر من حرف « أو » عندما عدد الجماعات المماثلة لدى اليونان . فالديوسكورس هما بطلان محاربان ورياضيان ، وهما اللذان ابتكرا الموسيقى الحربية ، وهما يحميان الملاحين في البحار ، وهما بطلان تم تأليههما لدى اليونان . كما تنص على ذلك أساطيرهم .

(٥٣) كانت عبادة الكبيرس منتشرة في « ساموتراس » وفي « طيبة » مدينة « قدموس » وعلى شواطىء « بويتيا » في بلاد الاغريق . وهم آلهة من أصل دخيل على الاغريق . ورجح معظم الدارسين انهم من أصل فينيقي ، واسمهم الذي يعني « الالهة الكبار » ووجودهم على الشواطىء يؤكد فينيقيتهم . وقد تداخلت شخصية هؤلاء مع شخصية الديوسكورس ، والكوريبانث ، وليس للكبيرس عدد محدد ، ولكن هناك تقليد يقول انهم أربعة : اكزييروس Axierus

أو ، ساموتراس [٥٥] (Samothraces) . وابتكروا ، أولا ، السفن.

ومن هؤلاء ولد رجال آخرون ، وجدوا عقاقير طبية لشفاء العضات

واكزيوسرسا Axiocersa واكزيوسرسوس Axiocersus وقدميلوس Cadmilus
(ابولونيوس روديوس ١ : ٩١٧) . وهذا الاخير يبدو انه من جذر « قدم »
السامي الذي شق منه اسم « قدموس » الذي ادخل الابجدية إلى بلاد الاغريق .
وعددهم عند سانخونياتن هو سبعة كما سنرى في نص الحاشية ١٢٠ — ونرجح ان
اسماء الكبيرس الثلاثة الأولى هي اسماء أسلاف « صديق » : أغروس ،
وأغرويرس ، وأغروتس . وقد حرفت قليلا ووردت كابناء له . وعندما يذكر
« غوثري » في دراسة « دين الاغريق ص ١٢٣ » ان طقوس الاورفية وحدت
بين زاغروس ، أحد الكبيرس وديونيسيوس نجد ان عبادة ديونيسيوس دخلت
إلى بلاد الاغريق بطريق قدموس كما يذكر هيرودت (٢ : ٤٩) وهذا يعني ان
أغروتس الذي يحترمه الفينيقيون كثيراً في جبيل ، كما ورد في نص الحاشية
٤٦ هو زاغروس ذاته ، كما ان ديونيسيوس هو أدونيس ، وهي أربعة اسماء
لمسمى واحد . ولعل اسم اغروتس هو الاسم الحقيقي لأدونيس الذي يعني السيد .
(للاطلاع على عبادة ادونيس يراجع كميل البستاني في « دائرة المعارف اللبنانية »
مادة « أدونيس ») .

(٥٤) الكوريبانت : هن الكاهنات السيبيليات ، وقد اشتهرن بمرافقة
الالهة « سيبيل » في جولاتها . وذكرهن هنا هو للايضاح كما يبدو .

(٥٥) الساموتراس : هم الكبيرس أنفسهم وقد سموا كذلك لاشتهار
عبادتهم واحتفالاتهم في جزيرة ساموتراس في بحر ايجه .

السامة ، واخترعوا كلمات السحر [٥٦]» .

— IX —

(سانخونياتن)

— «وفي عصر هؤلاء ، ولد واحد يدعى عليون [٥٧] (Elioun)
Hypsistos ، وزوجته تدعى بيروت ، وهي في إقليم جبيل [٥٨] .
ومن هذين ولد ابيجيوس Epigeios أو أوتوكتون وقد دعي منذئذ

---

(٥٦) هذا النص يرفع كثيراً من شأن صديق ، وهو يؤكد العلاقة بين
أشمون والطب وبينه ، كما ذكر ذلك داماشيوس (راجع الحاشية ٤٩) كما ان
ذكر ابتكار السفن للبحار يؤكد العقيدة الاغريقية في الديوسكورس ، حيث
يعتبرون حماة البحارة في اسفارهم . أما كلمات السحر فالمقصود بها هنا الرقى
والتعاويذ وبلاغة الخطابة . ولا تزال البلاغة توصف بالسحر في اللغة العربية .
كما لا تزال الرقى والتعاويذ منتشرة كوصفات طبية في البلاد المتخلفة . وهي فيها
من العلاج النفسي ما لا يمكن الاستخفاف به ، مع كونها من الشعوذة والدجل
(تراجع الحاشية ١٢٢ عن قداسة الكلمة) .

(٥٧) عليون : هي من القاب البعل في محفوظات اوغاريت . وتعني العالي ،
الرفيع ، من جذر « علا » السامي . ولا تزال تستعمل لوصف الاله وقد استعمل
الاغريق كلمة Hipsistos كصفة للبعل الفينيقي ، اله الجبال .

(٥٨) هذه الاشارة تثبت لنا قدم حضارة جبيل واشتهارها قبل صور وصيدا ،
بحيث تعرف بيروت بها . وهذا القدم تؤكده المحفوظات المصرية ، وبخاصة
اسطورة ايزيس واوزيريس . كما لا بد من تذكر جيرومبعل وابيبعل وأول
مجلس علمي عقد في بيروت (الحاشية ١٠ من المدخل) وذلك يثبت بدوره
قدم ازدهار بيروت التي كانت من تابعات جبيل .

أورانوس [٥٩] (Uranos) السماء . وباسمه سموا الكائنات الموجودة فوق رؤوسنا . والتي يضفي عليها جماله . وله أخت من الأبوين نفسيهما ، وهي تدعى «غاية» [٦٠] Ghé (الأرض) . وبجمالها — يقول — سموا مثلها ما يوافق اسمها باللفظ [٦١] وهبستوس والد هؤلاء

---

(٥٩) أوتوكتون تعني المواطن الأول المرتبط بالارض ، وهي هنا ايضاح للكلمة اليونانية أبيجيوس التي تحمل المعنى نفسه . اما ان يسمى هذا المولود الارضي اورانوس ، اي السماء ، فهنا ما يستحق الوقوف . وتفسير ذلك انه اطلق على جبل يربط بين الارض والسماء لعلوه . وهذا الجبل هو « حرمون » ذاته الذي يحمل اسمه معنى القداسة . وعند هذا الجبل قضي على اورانوس كما سنرى في نص الحاشية ١٠٥ . وهذا الجبل كان مسكناً للالهة ومهبطاً للوحي وهو جبل الشمال نسبة لكنعانيي فلسطين وترجح ذلك اسطورة اقهات بن دانيال من محفوظات اوغاريت حيث ترد فيها اسماء امكنة عديدة ذكرها العهد القديم وهي قريبة من حرمون اما مجرى النهرين فهما منابع نهر الاردن من اسفل هذا الجبل . وقد ورد في ملحمة « البعل وعناة » اسم « حرن » لاحد الالهة الجبابرة قد يكون هو اورانوس ذاته . ولا تزال حوران تحمل اسم الاله السامي هذا . والموضوع يحتاج إلى بحث خاص لما تراكم فوقه من أخطاء .

(٦٠) كلمة « غايه» الاغريقية هي من أصل سامي . وتعني باللغة العربية الامتداد الارضي ، أي المدى والمنتهى. وهي مقترنه دائماً بأورانوس في الاساطير الاغريقية ، كما هي والدة جميع المخلوقات عندهم .

(٦١) أي انهم تيمنوا باسمها فأطلقوه على الاخريات ، كما يتيمن المؤمنون باسماء القديسين والأولياء .

بعد أن أنهى أيامه في مخاطرة مع الحيوانات المفترسة ، تلقى من أبنائه شرف التأليه [٦٢] . وقدموا له التقدمات والأضحيات ، وبعد أن حصل أورانوس على تراثه تزوج أخته «غاية» فرزق منها بأربعة أولاد : إيلوس Ilus [٦٣] ، أي كرونوس ، (Cronus) ، وبيتيل [٦٤]

---

(٦٢) نلاحظ ان الهة الفينيقيين لا يتمتعون بأية مناعة سحرية خرافية . فهم يموتون في عراك مع الحيوانات البرية ، وبعد موتهم يتم تقديسهم وتخليد ذكرهم بالتأليه ، دون اي ذكر للمعجزات والخوارق .

(٦٣) يبدو أن هذا الاسم « ايلوس » هو الاله الكنعاني « إيل » نفسه الذي عرف بأبي السنين ، كما تدعوه محفوظات اوغاريت (مطلع ملحمة البعل وعناة). ويثبت هذه الصفة فيه توحيده بالاله « كرونوس » الذي يرى دارسو حضارة الاغريق انه سابق للاغريق . وكانت تقدم له تضحيات بشرية في رودس وهذه عادة كنعانية (راجع معجم اوكسفورد) ويذكر سترابو معبد الاله كرونوس في مستعمرة قادش الفينيقية بعد أعمدة هرقل (٤ : ٣،٥) وهذه المستعمرة كانت فينيقية صافية .

وإيل الكنعاني هو الاله الاعظم وقد دعاه يعقوب الله (تكوين ٢٨ : ١٧–١٩) .

(٦٤) بيتيل : هي بيت ايل في العربية ، اي بيت الاله . وكان الفينيقيون يتخذون حجارة رمزية لعبادتهم يطلقون عليها هذا الاسم . وقد فعل ذلك أيضاً يعقوب (تكوين ٢٨ : ١٧ — ١٩) ولكن الاسم هنا هو اسم شخص مؤله ، وليس رمزاً أو مسكناً . وحيث لا يوجد في الاساطير المعروفة اله بهذا الاسم نشير إلى حبيب الشاعر الاغريقي أناكريون «Bathylle» في جزيرة ساموس (شمس) فهذا الشاعر وضع باثيل في منزلة ابولون ، كما اقام حاكم ساموس بوليكرات تمثالا له في القرن السادس قبل الميلاد.وهذا ما يجعلنا نرجح ان قصة حب الشاعر

(Betyle) ، وداغون [65] الذي يدعى سيتون [66] (Siton) ، وأطلس [67] (Atlas) .

الشاذة هذه هي مزيج من الواقع والعقيدة الفينيقية بالاله بيتيل ، وبخاصة ان الحاكم اقام تمثالا للفتى الاله مستوحى من ابولون ولا يعقل ان يتفق اثنان في حب شاذ بدون غيرة لو كان ذلك واقعاً (ديوان الاغريق — اناكريون) .

(٦٥) داغون هو إله الفلسطينيين في العهد القديم (قضاة ١٦ : ٢٣ وصموئيل الأول ٥ : ٢–٧) وكان له بيت في أشدود وتمثال له بدن سمكة ويدا انسان ورأسه . وفي ملحمة « البعل وعناة » الأوغاريتية يرد وصف البعل مراراً بابن داغون . وتفسير هذا ان داغون إله عظيم الشأن بمستوى « إيل » أبي السنين . ويبدو ان إيل كان اله اليابسة والمرتفعات بينما كان داغون اله البحار ولهذا السبب عبد بشكل سمكة . ولورود اسم داغون كاله اعظم في محفوظات اوغاريت نرى ان هذا الاله هو كنعاني كان في فلسطين قبل مجيء الفلسطينيين . وقد ورد ذكره كاله فلاح ، كما في متن الحاشية (٩٣) .

(٦٦) لا أرى بعداً كبيراً بين هذه الكلمة الصفة لداغون وكلمة شيطان العربية فهذه تعني كل عات متمرد وليس كائناً بالذات . وقد يكون ذلك من صفات داغون .

(٦٧) أطلس : هي كلمة سامية معناها : مخفي ومعمى وهي من كلمة « طلس » في العربية . وقد سمي بذلك جبل عال في المغرب ، لدوام الضباب فوق قمته بحيث تبقى مخفية صيفاً شتاء . وأول ذكر له ورد عند هيرودت في القرن الخامس قبل الميلاد . (هيرودت ٤ : ١٨٥) وكان يدعوه الاهلون هناك عمود السماء . ومن هنا انتقلت الاسطورة إلى الاغريق واعتبروا أطلس حاملا للسماء على كتفية (الاوديسة ١: ٥٣).ولوضوح الاصل السامي لهذا الاسم

وكان لأورانوس أيضا زوجات أخريات أعطوه نسلا كثير العدد وقد أثارت الغيرة غاية فبحثت عما يضر بأورانوس إلى حد افتراق واحدهما عن الآخر .

كان أورانوس ، إذن ، مفترقا عنها ، وكان يواصلها بالعنف في كل مرة ، عندما تكون لديه الرغبة . وينتهي بمفارقتها من جديد [68] وقد حاول القضاء على أولاده منها . وحمتهم غاية مرارا بمساعدة معاونيها الذين جمعتهم حولها [69] .

وعندما أدرك كرونوس سن الرجولة عهدت به إلى هرمس العظيم

نعتبر انه من معطيات الفينيقيين الذين بنوا المستعمرات في بلاد المغرب وأطلقوا اسم اعمدة هرقل على مضيق جبل طارق بين البحر المتوسط والاطلسي ، الذي يحمل الصفة نفسها لغموضه وعماء مصير المبحرين فيه .

(٦٨) تحولت هذه القصة إلى قصة رمزية تفسر انفصال السماء (اورانوس) عن الارض (غاية) . وكيف ان السماء لا تزال تهاجم الأرض وتغتصبها بمجامعتها بعنف بواسطة المطر . وهي كما نرى قصة الحياة على وجه الأرض بعد المطر والخصب ، الذي هو بمثابة الحمل .

(٦٩) ان تشخيصات موجودات الطبيعة وقواها عملية مألوفة في الأدب الكنعاني . ونجد ذلك في ملحمة « البعل وعناة » في محفوظات أوغاريت ، حيث نجد الامير « يم » أي البحر والقاضي « نهر » ولكن هذه التشخيصات لم تتطرف حتى تصل للخرافة ، بل بقيت رمزية انسانية . وهذا ما حمل فيلون الجبيلي على اعتبارها جميعاً وقائع حقيقية .

(Trismégiste)[٧٠] ليرشده ويحميه . وقد غدا أمين سره ، وساعده على دفع والده ، منتقما لوالدته » .

— X —

(سانخونياتن)

— «ولكرونوس من البنات : بروسربين[٧١] (Proserpine) ومنيرفا[٧٢] (Minerve) . الأولى ماتت وهي عذراء . وبإشارة من منيرفا وهرمس صنع كرونوس من الحديد منجلا وحربة[٧٣] .

---

(٧٠) هرمس في الاساطير الاغريقية يقوم بوظائف مختلفة . وقد اندمج بالاله المصري « ثوث » والاله الفينيقي « تاوتس » كما ذكرنا ، فنسبت اليه الابجدية عند الاغريق وهذه الوظيفة فينيقية كما نعرف . وهو هنا « تاوتس » الفينيقي المبدع الذي يصلح ليكون مربياً وأمين سر (راجع الحاشية ٢٠ من المدخل) وكلمة Trismégiste ألحقت به لتمييزه من هرمس ، الاغريق .

(٧١) بروسربين : هي ربة الخصب والربيع عند الاغريق ، ويصورونها فتاة جميلة باسمة . واسمها هذا لاتيني محرف عن الاسم اليوناني « برسفاتا » ولغرابة اللاحقة بهذا الاسم استنتج الدارسون انها غير اغريقية (معجم اكسفورد) وهي تعتبر ربة الموت وارواح الموتى وملكة العالم السفلي . وهذا ما يتفق مع القول انها ماتت وهي عذراء . وهي في الطقوس الاورفية ترتبط بديونيسيوس زاغروس الذي أدخل قدموس الفينيقي عبادته إلى بلاد الاغريق (راجع الحاشية ٥٣) ، وهكذا يرجح لدينا الأصل الكنعاني لهذه الالهة كما هناك قرية تحمل اسمها في جنوب لبنان هي «سرُبِّين» .

(٧٢) منيرفا هي ربة المهارة الصناعية لدى الرومان . وهي مجهولة الأصل .

(٧٣) من سلاح كرونوس في أساطير الاغريق المنجل . وهو رمز الحصاد . وقصة الصراع بين الابن والاب هذه مألوفة في القصص الاسطوري .

ثم إن هرمس تلفظ بكلمات سحرية على أتباع كرونوس[٧٤] ، فألهب فيهم الرغبة في القتال ضد أورانوس ، انتقاما لشرف غاية . وهكذا شن كرونوس الحرب على أورانوس ، وطرده من مملكته وخلفه في السلطـة .

وفي هذا القتال كانت محظية أورانوس المحبوبة قد أسرت وهي حبلى ، فأعطاها كرونوس كزوجة لداغون . وولدت طفلا عرفت أنه من أورانوس ، ودعته دمارون[٧٥] (Démaroun) .

وفي غضون ذلك ، أحاط كرونوس منزله بسور ، وأنشأ أول مدينة في فينيقيا التي كانت جبيل[٧٦] . وبعد ذلك اتهم أخاه أطلس ،

---

(٧٤) من اختصاصات هرمس عند الاغريق انه يحمل صولجاناً ذهبياً للرقى والسحر (الاوديسية ٢٤ : ١) وهذه من مبتكرات « تاوتس » الفينيقي .

(٧٥) لم أعثر على مسمى لهذا الاسم ، ولكن انسجاماً مع نزعة الفينيقيين لاطلاق اسماء اجدادهم على الجبال ، لا استبعد ان يكون دمارون هو جبل « مارون » المواجه لجبل الجرمق في جنوب لبنان . وتكثّر في هذا الجبل الآثار الكنعانية . وليس هناك اي ذكر حديث لسبب تسميته . كما يمكن ان تكون بلدة الدامور الحالية هي الحاملة لاسمه . وفي الحالتين يكون وجود التحريف. واسم مارون له شأن كبير في قصة اوزيريس الذي تربى في «نيغا» فهو رافقه في رحلته ليعلم الناس زراعة العنب (ديودور س ١ : ١٨) وهذه الزراعة لبنانية .

(٧٦) تثبت الوثائق المصرية هذه الفكرة عن قدم تأسيس جبيل التي كانوا يدعونها « نغا » ويدعون إلهها أدونيس « هاي‌تو » وذلك في الالف الرابع قبل الميلاد (راجع كونتنو — آسيا والحضارة المصرية ، في كتاب الحضارة الفينيقية) ولكن هنا تكرار لذكر جبيل واسوار المنازل فيها . وهذا التكرار يدل على ان التاريخ الفينيقي جمع حقاً من عدة مصادر ، بحيث وردت فيه أخبار غير متواصلة .

بتحذير من هرمس ، فطمره في أعماق الأرض وأقام فوق جسده كومة من التراب [٧٧]. وحوالي هذا التاريخ كان أولاد ديوسكورس [٧٨] (Dioscures) نظموا جميع أجزاء الأطواف والمراكب ، وابتدأو بالإبحار ، واندفعوا صوب جبل كاسيوس [٧٩] ، فأقاموا هناك معبدا .

وقد دعي أتباع هل [٨٠] (Hel) (كرونوس) علوييم [٨١] (Eloim) وذلك استجابة للكرونيين ، وقد دعوا بذلك نسبة لكرونس» .

---

(٧٧) لا يوجد ذكر لهذه الحادثة في أساطير الاغريق . وهذا ما يرجح فينيقية أطلس .

(٧٨) الديوسكورس هم ابناء صديق (راجع الحاشية ٥٢) . وقد ورد هناك ذكر ابتكارهم للسفن . وهنا تكرار لاختلاف الروايات .

(٧٩) كاسيوس : هو الجبل الاقرع شمال اللاذقية (الحاشية ٢٩) وحسب رأي دارسي محفوظات اوغاريت القريبة من هذا الجبل هو كان مقدساً ومسكنا للبعل ، كما هو جبل الاجتماع (أشعيا ١٤ : ١٣ و ١٣ : ٢) وهو جبل صافون وجبل الشمال كما يعرف . ولكني أرى ان هناك التباساً وتداخلا بين هذا الجبل وجبل حرمون المقدس بدوره (راجع الحاشية ٥٩ والحاشية ١٠٥) . وقد عبد الاغريق إلهاً باسم كاسيوس نسبة لهذا الجبل .

(٨٠) هل : هو إيل نفسه وكرونوس والعلي والله . عدة أسماء لمسمى واحد .

(٨١) علوييم : جمع عالي وعلي ، وهي صفات للبعل في محفوظات أوغاريت وهي نسبة لإيل هنا .

(سانخونياتن)

– «وكان لكرونوس ولد يدعى صديد (Sadid) ، فقتله بسلاحه الخاص ، حيث أدرك شكوكا نحوه ، هي : انه سيقتل بواسطة ابنه ، فسلبه الحياة [٨٢] . وقطع كذلك رأس إحدى بناته حتى يكون لدى جميع الآلهة خوف كبير من نوايا كرونوس .

ومع الزمن أرسل أورانوس من مكان لجوئه ابنته عشتارتا [٨٣]

---

(٨٢) تذكر الميتولوجيا اليونانية قصة تخوف كرونوس من ابنائه ، لكنها تبالغ فتذكر انه اكلهم ما عدا « زيفس » الذي انقذته والدته وخبأته في جزيرة كريت . وهي لم تذكر قصة قتل « صديد » وأخته التي تبدو معقولة ، قريبة لاحتمالات الواقع .

(٨٣) عشتارتا أو عشتروت هي إلهة سامية كنعانية ذات نفوذ كبير في التاريخ القديم . ورد ذكرها كالهة للصيدونيين في الملوك الأول (١١ : ٥ و ٣٣) واستنكر أرميا نفوذها على اليهود واطلق عليها اسم ملكة السماوات (٧ : ١٨ و ٤٤ : ١٧ — ١٩ — ٢٥) وقد تبعها سليمان بن داود ، وبنى لها معابد على المرتفعات مقابل اورشليم (الملوك الثاني ٢٣ : ١٣) ، كما عبدها بنو اسرائيل أيام يشوع بن نون مع البعل الكنعاني (قضاة ٢ : ١٣ و ٦:١٠) وفي ملحمة « البعل وعناة » في محفوظات اوغاريت هي رفيقة البعل وتمنعه من قتل الرسل ، كما في ملحمة « كارت » هي مثال الجمال . وقد قدستها بابل كالهة للخصب والحب ، وهي غطت على شخصية الالهة السومرية « إنانا » المماثلة لها في ما بين النهرين . ولغياب اسم عشتار من النصوص السومرية أعتقد انها وصلت إلى هناك بطريق الكنعانيين. وذكرت النصوص البابلية لملحمة غلغامش وقوعها في حب

(Astarte) مع اثنين من أخواتها هما رحيه » [٨٤] (Rhéa) وديوني [٨٥] (Dioné) للقضاء على كرونوس بنصب كمين لـه .

هذا البطل ومغاواتها إياه حيث يخاطبها باسم « ملكة السماء » هو أيضاً (ملحمة غلغامش – فصل غلغامش وعشتار) أما في الميتولوجيا الاغريقية فاسمها « افروديت » وذكر هيرودت معبداً لها في عسقلان ˜ في فلسطين باسم « افروديت اورانيا » . وهنا نجد نسبتها الكنعانية إلى اورانوس . ويذكر هيرودت ان معبد عسقلان هو أقدم معبد لها ، كما يذكر ان معبدها في قبرص مأخوذ عنه ، وان معبد « كيثيرا » بناه الفينيقيون انفسهم ابناء منطقة عسقلان (هيرودت ١ : ١٠٥) وفي الاوديسة يجعلها هوميرس معنية بالحب (٨ : ٢٦٦ – ٣٦٦) بينما في الالياذة ينصحها « زفس » بأنها خلقت للحب وليس للحرب كالالهة أثينا (٥ : ٤٢٨) ويدعوها هنا « سيدة قبرص » وتتهمها « ديوميد » بأنها حركت قلوب بعض نساء الآخيين ليحببن الطراودة (٥ : ٤٢٣) وهذا ما يثبت أصلها الغريب في بلاد الاغريق .

وعشتروت تعتبر حبيبة ادونيس في المرويات الفينيقية وهي « سيدة » جبيل، كما هناك كهف كان معبداً قديماً قرب مغدوشه في منطقة صيدا يرى « كونتنو » انه لعشتروت . وقد تراوحت طقوس عبادتها بين الاباحة الجنسية والتضحية من أجل التكفير عن الذات . رقد كان لها معبد شهير في «افقا» في جبل لبنان عند منبع نهر ابراهيم (يراجع « ادونيس في قبرص » من كتاب الغصن الذهبي لفريزر) وهي تعرف عند الرومان « فينوس » وقد كانت اعظم مثال لسلطة المرأة في الحضارة الكنعانية (س. ن .) .

(٨٤) رحية : هي زوجة كرونوس في الالياذة (١٥ : ١٨٧) .

(٨٥) ديوني : هي والدة افروديت من زيفس في الالياذة (٥ : ٣٧٠) وليس لها طقوس محددة لكونها زوجة ثانوية . وتعتبر رمز الارض والخصب وقد اندمجت بعشتروت .

ولكن كرونوس اتخذهن زوجات له ، مع أنهن في الوقت نفسه أخواته [٨٦] . فألحقهن به .

وعرف أورانوس بما حصل لمشروعه ، فوجه ضد كرونوس هيمارمين (Heimarimène) وحورا [٨٧] (Hora) (القدر والجمال) مع أتباع آخرين . ولكن كرونوس عرف كيف يصالحهم ويحتفظ بهم قربـــه» .

---

(٨٦) هذه الاشارة بما فيها من استغراب تثبت التزام الراوي باعتبار الحوادث واقعية انسانية بعيدة عن خرافات الاساطير ، وسواء كانت من سانخو نياتن أم من فيلون ، أم من اوزيب فهي تؤدي الغاية نفسها .

(٨٧) هيمارمين : تعني القدر . أما حورا فيبدو انها مفرد كلمة « حور » العربية الواردة في القرآن « حور عين » (الواقعة ٢٢) وفي اساطير الاغريق ان الحور فتيات يحرسن باب السماء ، وقد وردت بلفظها العربي في الياذة هوميرس (٥ : ٧٤٩ و ٨ : ٣٩٣) وتصف الالياذة الحورية بأن عينيها كعيني البقرة وهذه هي الصفة العربية نفسها المعطاة لها في كلمة حور عين (الالياذة ١ : ٥٥١) ووظيفة الحور في الالياذة هي ازالة ستائر الضباب الابيض عن ابواب السماء ، كما وصف الحورية هوميرس بذات الاذرع البيضاء (الالياذة ١٤ : ٢٧٧) وكلمة حوار في العربية تعني البياض والنعومة ومن هذه الصفة اشتق اسم حورية . ويبدو ان هوميرس اقتبس ذلك من الفينيقيين اثناء اقامته بينهم .

وفي المحفوظات الاوغاريتية ورد اسم « حري » ابنة « فابل » التي سار « كارت » إلى بلاد « ادوم » بجيشه لكي يحصل عليها كزوجة له .

(تلخيص أوزيب)

ويقول أيضا : «إن الأله أورانوس ابتكر وركب حجارة حية [88] (Betyles) » .

— XII —

(سانخونياتن)

— « ولد لكرونوس من عشتارتا سبع بنات ، فدعاهن تيتانيدز

(٨٨) لقد اتفق جميع من شرح كلمة « بيتيل » الفينيقية على انها تعني بيت إيل أي مسكن الاله ، وانها حجارة كانت تتخذ كمقدسات للعبادة بافتراض وجود صفة قداسة فيها . كما اجتهد بعض الدارسين فافترض ان تكون الحجارة المقدسة الأولى بقايا نيازك سقطت من الجو. أما ما وجد منها في الهياكل فهو حجارة مخروطية وجد عدد كبير منها في الهياكل الفينيقية القديمة . ولكن تناقض هذا التفسير مع موقف سانخونياتن وفيلون من التعبد الخرافي ، ولورود كلمتي « ابتكر وركب » للحجارة نجدنا مضطرين هنا للبحث عن تفسير آخر للموضوع . وهنا نفترض ان الفينيقيين عرفوا أحد المركبات الكيميائية التي كانت بشكل حجر توحي بانها تحس كالأحياء ، لما فيها من قابلية للتفاعل مع عناصر أخرى . ولا بد من الاشارة هنا إلى ان ارسطو نسب لطاليس الفينيقي قوله ان للحجر روحاً وحياة . وقد عين حجر المغنطيس لذلك (كتاب النفس ٥ ١٤٠ — ٢٠) وفكرة الحجر الحي عند طاليس أراها الفكرة نفسها هنا عند سانخونياتن . وهي من مصدر واحد كما يبدو (راجع الحاشية ٣) وإلا فلا يعقل ان تعبد حجارة بدون تميز خاص يثير الاهتمام .

(Titanides) [89] أو أرتميدز [90] Artémides . وولد له من «رحيه» سبعة بنين ، حيث تم تأليه الأصغر منهم منذ ولادته [91] . وولد له بنات من ديوني وولدان أيضا من عشتارتا هما : بوثوس (Po- thos) وإيروس (Eros) (الرغبة والحب) [92] .

(٨٩) التيتان في الالياذة هم سكان جوف الارض (١٤ : ٢٧٩) وعند هزيود في ميلاد الالهة هم ابناء السماء والارض (١٣٢) وهم في الاساطير الاغريقية بعامة قوى الطبيعة الفجة . وبعد حرب طويلة مع زفس سجنهم هذا في جوف الارض . ونحن نجد ملامح هؤلاء في اسطورة الخلق البابلية « اينوما ليش » . وهم جماعة مزعجون من الآلهة .

(٩٠) هي إلهة الارض الوعرة ووصفتها الالياذة بأنها « سيدة » الحيوانات المتوحشة (٢١ : ٤٧٠ — ٤٨٣) وهي صيادة كأنها أسد في ثوب امرأة. وما يبدو هو ان الكاتب جمع التيتان وارتميدز معا ليعرفنا بسلالة عشتارتا القاسية البرية ويوضح لنا فقط .

(٩١) في أساطير الاغريق ان ابن « رحية » الاصغر هو « زيفس » وقد وضعته في جزيرة كريت بعد ان كان والده كرونوس ابتلع ابناءه الخمسة الأول .

(٩٢) بوثوس : هو تشخيص اغريقي للشهوة في الحب الجنسي ، بينما ايروس هو اله الحب وهو كيوبيد الشهير عند الرومان ، وابن افروديت أي « عشتروت » . لم تذكر الالياذة هذا الاله ، لكنها استعملت اللفظة الاغريقية ذاتها لتدل على رغبة الوصال الجنسي (الالياذة ٣ : ٤٤٢ و ١٤ : ٢٩٥) ويبدو أن تشخيص هذين الالهين تم في بلاد الاغريق بعد دخول طقوس عشتروت إلهة الحب الكنعانية اليها . ولا ننس ان الفينيقيين اعتنوا بالمجردات في التكوين كما بدا واضحاً منذ بدء رواية التكوين عند الحديث عن الرغبة (الحاشية ٣) ولا بد من وجود أسماء سامية لهذين حيث لم يوجد تشخيص لايروس قبل هزيود في اليونانية (ميلاد الالهة ٢٠١) .

وبعد أن اكتشف داغون القمح والمحراث ، دعي جوبيتر الفلاح [٩٣] .

و «صديق» المستقيم ، اقترن بإحدى التيتانيدز ، وولد له اسكلبيوس [٩٤] (Esculape) . وولد لكرونوس في إقليم بيريه [٩٥] (Peraia)

---

(٩٣) هنا تفسير لتقديس اوغاريت لداغون حيث كان يعتبر إله الزراعة والمواسم (الحاشية ٦٥) . أما كلمة جوبيتر فهي التعريف الروماني لهذا الاله .

(٩٤) راجع الحواشي (٤٩ و ٥٠) اسكلبيوس : هو الاله الطبيب « اشمون » وله معبد قرب صيدا . وفي الالياذة هو انسان فان وطبيب ماهر هو وابناؤه (٢ : ٧٣١) وترمز له الافعى التي اصبحت رمز الطب الحديث . وقد انتشر تقديسه في معظم انحاء العالم القديم . ولكنه لم تنسب اليه معجزات إلهية خرافية . وهذا ما يماشي المبدأ الفينيقي في تقديس الابطال ويرينا ان هذا الاله كان رجلا حقيقياً موهوباً بمعالجة المرض. وبينما لا نجد لاسمه اصلا في اللغة اليونانية نجد بالمقابل كلمة «صقلاب» العربية من الالفاظ البائدة وهي تحمل معنى كلمة فينيق نفسها ، وهي من صفات الفحولة والنبل (تاج العروس) .

(٩٥) البيريه : هي منطقة في فلسطين عرفت قديماً قريباً من نهر الاردن . بينما يراها الكثيرون من الشارحين بعد نهر الفرات .

ثلاثة بنين : كرونوس ، على اسم والده ، جوبيتر بيلوس [٩٦] ، (Belus) ، وأبولون [٩٧] وحوالي الزمن نفسه تم ظهور بونتس (Pontus) [٩٨] ، وتيفون [٩٩] (Typhon) ونيري

---

(٩٦) جوبيتر بيلوس : هو الاسم اللاتيني للبعل . وقد ورد هذا التعريف عند هيرودت في تعريف بعل بابل فقال البعل زيفس. وحرف السين هو من مستلزمات اللغة اليونانية (هيرودت ١ : ١٨١) وفي الانياد يعرف فرجيل أحد ملوك صور باسم « بيلوس » أي البعل ، وهو ينسب له فتح قبرص (١ : ٦٤٢) ويفترض انه والد « ديدو » ملكة قرطاجة (اليسار) كما يذكر لنا هيرودت اسم جد فينيقي لأحفاد هرقل الذين حكموا « ساردیا » يدعى « بيلوس » (١ : ٧) وقد كانت هذه التسمية مألوفة كما يبدو في العهد القديم حيث ورد ذكر اخوة هم : صور وقيس وبعل أبناء بعوئيل ومعكة (الأخبار الأول ٨ : ٣٠ و ٩ : ٣٥) .

(٩٧) ابولون: هو اله الفنون عند الاغريق بما فيها الطب والتنبوء . وهو ابن زيفس، وله عدة القاب كان إلى جانب الطرواد في الالياذة وقد اختلف الدارسون حول اصل هذا الاله ، ولكن بعض الوظائف يجعله قريباً من الفينيقيين ، أو انها على الأقل تبعده عن الأصل الاغريقي . ولا أرى شرطاً هنا أن يكون « أبولون» هو الاله المثال للشباب ذاته، ما دامت هناك اشارة إلى سلالة ثانية من الاجداد تسمت باسم ابائها .

(٩٨) بونتس : هو تشخيص للبحر وابن الارض عند هيزيود (ميلاد الالهة ١٣١) ولا استبعد ان تكون تلك الكلمة العامية « بنط » أي رسا للزورق ، هي من هذا الاسم . والكلمة مستعملة كثيراً في لبنان حتى اليوم .

(٩٩) تيفون : هو مسخ عملاق في الاساطير الاغريقية وله شكل تنين . ويحدد هوميروس مقامه في أرض الأريم (الالياذة ٢ : ٧٨٣) وهذه هي بلاد كيليكيا ، وقد اقام بها الفينيقيون . ولا أرى في كلمة أريم الواردة في الالياذة الا (الآراميين) وهم الساميون الذين اندمجوا كثيراً بالفينيقيين في جنوب لبنان وفي البقاع . وقد تحدث عنه مطولا ابولودريوس (١ : ٤١) وننوس في ديونزياكا (١ : ١٥٤) .

(Nérée) [١٠٠] والد بونتس. وبونتس كان والد صيا ون [١٠١] الذي بامتياز صوته كان أول من اكتشف أغاني الترنيم ، ووالد بوزيدون (Poseidon) [١٠٢] (نبتون) وملكارت الذي هو في الوقت نفسه هرقل [١٠٣] ، كان ابنا لدمارون» .

---

(١٠٠) نيروس : في أساطير الاغريق هو ابن بونتس ، وهو اله بحري يعيش في أعماق البحار (الالياذة ١ : ٣٥٨ ومولد الالهة لهيزيود ٢٣٣) وهو يستطيع التحول إلى أي شكل يشاء وهو والد النيرايدس اللواتي كن يعطفن على البحارة في أوقات الشدة .

(١٠١) ورد اسم صيدون على انه ابن كنعان في التكوين العبري (١٠ : ١٥)

(١٠٢) بوزيدون : هو إله العواصف عند الاغريق ، وقد عرفه هوميروس بانه اله الزلازل (الالياذة ١٥ : ٢٠٥) وانه ابن كرونوس من « رحية » وهو يشترك في بناء اسوار طروادة مع ابولو ، ولكن لاوميدون لا يدفع له أجرته ويهدده باستعباده (الالياذة ٢١ : ٤٤٢ — ٤٤٦) وهو يعبد كاله للبحر في جميع المناسبات . ونبتون هو النسخة الرومانية لبوزيدون — ويبدو من اسمه انه كنعاني .

(١٠٣) ان كلمة ملكارت تعني ملك القرية ، وليست الاسم الحقيقي لهذا الاله العظيم الذي اشتهر في مدينة صور على الاخص . أما هرقل فهو الاسم الذي عرف به في اليونانية . وكان حيرام ملك صور أول من اقام تمثالا لهرقل ، بينما جدد معابد هرقل القديمة في مدينته (جوزيفس فلافيوس — التاريخ القديم لليهود ٨ : ٢) ويرينا هيرودت انه قام ببحث شخصي حول شخصية هرقل فتبين له ان في صور معبداً لهرقل ، عظيم القداسة — وان الكهنة قالوا ان المعبد قديم قدم مدينة صور التي كان مضى على تأسيسها ٢٣٠٠ سنة » ولكنه أشار إلى وجود معبد آخر لهرقل التازي.وقد سافر إلى « تازوس» ليجد معبداً لهرقل

– XIII –

(سانخونياتن)

وفي هذه الأثناء جدد أورانوس الحرب ضد بونتس ، حيث إنه بعد ابتعاده عنه تعلق بدمارون . وبدأ دمارون الهجوم ضد بونتس ؛ ولما هزم نذر تقديم أضحية إذا ما نجا .

وفي السنة الثانية والثلاثين من حكمه وتملكه [١٠٤] قام إيلوس

كان أسسه الفينيقيون في الجزيرة . وقد استصوب هيرودت رأي الاغريق الذين يعبدون هرقل في معبدين ، واحد بصفته إلهاً خالداً والآخر بصفته إنساناً (هيرودت ٢ : ٤٤) ويعتقد هيرودت ان عبادة هرقل دخلت إلى بلاد الاغريق بطريق هجرة مصرية (٢ : ٤٣) ولكن انتشار معابد هرقل في المستعمرات الفينيقية في غربي المتوسط ، وفي مدينة « قادش » على الاطلسي مع تسمية مضيق المتوسط اعمدة هرقل من قبل الفينيقيين تثبت الاصل الفينيقي لهرقل . بل إن هوميروس في الالياذة يذكر ان هرقل ولد من ألكمين لزفس في مدينة طيبه ، وهي مدينة فينيقية في بلاد الاغريق (الالياذة ١٤ : ٣٢٣) . ومنذ مطلع تواريخه يعرفنا هيرودت بملك سارديا فيقول انه حفيد هرقل ، وانه زعيم قبيلة الهرقليين ، وان بين أجداد هذه العائلة من يدعى « بعل » وهو اسم فينيقي كما نرى (هيرودت ١ : ٧) اما اندماج ملكارت بمولوك الذي يتقبل الضحايا البشرية من أبكار الناس كما تذكر أسفار العهد القديم فليس هنا مجال بحثه ، اذ المقصود هو إثبات انسانية هرقل وفينيقيته . أما كونه ابناً لدمارون فتراجع الحاشية ٧٥ عن دمارون .

(١٠٤) في تحديد عدد السنوات هنا محاولة للتأكيد على واقعية الحوادث ، او انها كانت تعتبر فترة زمنية معينة لاكتمال النضج في العهود القديمة . ولنذكر ان المسيح يسوع ابتدأ عظاته سنة ٣٣ من عمره .

الذي دو كرونوس نفسه بمفاجأة والده أورانوس بكمين في مكان وسط الأراضي . فقبض عليه وسلبه رجولته قرب ينابيع وأنهار ، في المكان الذي أنشئت فيه عبادته [١٠٥] فلفظ آخر نفسه ، والدم الذي سال من

---

(١٠٥) أصبح بالامكان تحديد هذا الموقع بعد اكتشاف مخطوطات البحر الميت في كهوف قمران سنة ١٩٥٠ حيث في اجزاء سفر اخنوخ المكتشفة هناك ذكر لاجتماع ديني عظيم « على مياه دان ، في أرض دان ، إلى الجنوب والغرب من حرمون » (اخنوخ ١٣ : ٧) ودان هذه هي مملكة صغيرة قديمة ينبع في أرضها نبع الحاصباني الذي يغذي الاردن وعدة ينابيع اخرى . كما في رؤى العهد القديم يقترن اسم السماء بجبل حرمون ، حيث يذكر النص الآرامي المكتشف في قمران (ليفي ٢ : ٣ — ٥) جبلا عالياً يجمع السماء إلى الأرض . وتكثر الينابيع في تلك المنطقة التي حددها اخنوخ ، كما تكثر الآثار الكنعانية . ويرى الاب مليك الذي شارك في دراسة مخطوطات قمران أن يسوع أشار إلى حرمون عندما ذكر لبطرس انه الصخرة وفوق الصخرة سيبني كنيسته ، وسيعطيه مفاتيح ملكوت السماء (متى ١٦ : ١٨ و ١٩) كما رأى انه هناك تجلى لتلاميذه (يراجع أليغرو في « مخطوطات البحر الميت » ف ١١) ويراجع فصل ادونيس في دائرة المعارف اللبنانية بقلم كميل البستاني . ويستلفت النظر ما في تسمية اورانوس الذي كان يعني السماء للفينيقيين من علاقة مع اشارة ليفي إلى ان حرمون يصل للسماء برأسه (الحاشية ٥٩) .

أما الطريقة التي قضى بها كرونوس على والده بسلبه رجولته ، فهي ليست للمثلة ، وانما هي عقيدة سامية تنص على ان الملك يفقد سلطانه عندما يفقد رجولته وقواه الجنسية . وهذه الحالة كانت سبب ثورة أدونيا بن داود على والده عندما هذا الاخير فشل جنسياً مع الفتاة الجميلة « ابيشج » الشونمية التي جاءوا بها لتجربته (الملوك الأول ١ : ١ — ٥) كما يرجح ان ثورة « يصب » على والده كارت في محفوظات اوغاريت كانت بهذا الدافع .

جروحه تقطر في عيون الماء وفي مياه الأنهار . ولا يزال المكان معروفا حتى اليوم» .

(تعليق أوزيب)

هذه هي إذن أعمال كرونوس هذا ، مع الملامح المحترمة لهذه الحياة ، تحت ساتورن[١٠٦] كما يحتفل بها الإغريق الذين يعلنون أن العصر الأول هو العصر الذهبي للناس الموهوبين بعضو الصوت . وحقبة هذه السعادة للقدماء تتلقى الكثير من المديح[١٠٧] .

---

(١٠٦) ساتورن : هو إله قديم ، وقد دمجه الرومان بكرونوس عندما جاء فاراً من زفس إلى لاتيوم حيث علم الناس الزراعة وعاشوا في عصور ذهبية في ظل حكمه وهو أول من سمى الارض هناك لاتيوم (الانياد ٨ : ٣١٠ وما بعده) وقد ورد اسمه هنا إشارة للعصور الذهبية التي ذكرها فرجيل ، حيث كان يخيم العدل ولا توجد عبودية لانسان . وكان يحيي الرومان عيداً لذكرى هذا العصر في ١٧ كانون اول من كل سنة ويدوم العيد أسبوعاً كاملا . وأرى في نسبة الاحتفال للاغريق خطأ يجب الانتباه له (يراجع الغصن الذهبي ف ٥٨) وفكرة العصور الذهبية هي فكرة سامية على الارجح اشتهر التغني بها في بلاد ما بين النهرين (ألواح سومر) كما هي في أساس قصة جنة آدم وحواء .

(١٠٧) هنا إشارة لاهتمام القدماء بالاصوات الجميلة من اجل الاناشيد في الطقوس الدينية ، ونجد في الطقوس الاورفية خير مثال على ذلك ، كما في مزامير داود وآلاته الموسيقية ما يكفي للدلالة .

- XIV -

(أوزيب)

وبعد أن يقول المؤرخ أشياء كثيرة أخرى يتابع :

(فيلون عن سانخونياتن)

— «عشتارتا الكبيرة جدا، وجوبتر دمارون [١٠٨] وهدد [١٠٩] (Adad) ملك الآلهة حكموا على الأرض بموافقة كرونوس .

ووضعت عشتارتا على رأسها كإشارة للملك رأس ثور [١١٠] .

---

(١٠٨) جوبتر دمارون : هو هنا كجوبتر بيلوس (الحاشية ٩٦) للدلالة على عظمة ديمارون الكنعاني .

(١٠٩) هدد : هو اله أعظم عند الآراميين ، وهو جليل يختص بالعواصف والخصب . وقد نشر الفينيقيون عبادة هذا الاله في روما . وتركزت عبادته في مدينة بعلبك (راجع « لبنان في التاريخ » لفيليب حتي فصل ١٥ و ١٦ . وفي ملحمة « البعل وعناة » الاوغاريتية ورد اسم هدد كاسم آخر للبعل . وهذا التلاحم بين هدد الآرامي والبعل الفينيقي يوضح التمازج بين الجماعتين الساميتين في لبنان .

(١١٠) الثور في العقائد الكنعانية هو رمز القوة والسلطان . ولهذا نجد الصفة المحببة للاله « إيل » في مخطوطات اوغاريت هي لقب ثور ، وهو على العموم رمز الرجولة والقوة في جميع بلاد الشرق الادنى . وقد قدس المصريون الثور « أبيس » كرمز للاله أوزيريس . كما ان اليهود عبدوا الثور الذهبي كتمثال لمعبودهم (خروج ٣٢ : ٤ و ٥ — والملوك الأول ١٢ : ٢٨ وهوشع ٨ : ٥و ٦) ونجد في ملحمة غلغامش التشبيه المحبب للبطل هو الثور (الفصل الأول).

وعند تجولها في العالم وجدت نجما يشق الهواء ، فالتقطته وكرسته في جزيرة صور المقدسة [١١١] .

عندما غضبت عشتار على غلغامش وانكيدو استعانت بثور السماء لتدمير مدينتيهما . وقد تعاونا معاً لقتله (غلغامش ف ٣) وهكذا نجد ان الثور كان رمز السلطة والقوة والألوهة ايضاً لدى شعوب عديدة . والتماثيل التي نجدها لعشتار ترينا اياها بتاج ذي قرنين يضمان بينهما قرص الشمس . وتبرز النسخة المصرية من عشتار ، « حتحور — هاتور » على هيئة امرأة لها رأس ثور او أذنا ثور فقط (راجع مصر لجاك فانديه واتيين دريوتون ف ٣) .

(١١١) هنا إشارة إلى بقايا نيزك سقط على الارض . وقد اشتهر الساميون بتقديس هذه الحجارة السماوية . ولا يزال الحجر الاسود في الكعبة شاهداً على هذا التقديس القديم منذ ما قبل الاسلام . وفي تاريخ الامبراطور الروماني الحمصي « إيلجبل » يذكر « غيبون » ان حمص كانت تحتوي منذ القديم حجراً مقدساً من السماء . وقد نقله إيلجبل إلى روما باحتفال فخم (تدهور وسقوط الامبراطورية الرومانية مجلد ١ ف ٥) كما ذكر ذلك ديودورس الصقلي قبله (٧٨ : ١٦) . ويبدو ان شهرة معبد صور جاءت من وجود هذا الحجر هناك . وقد نسب الاقدمون القداسة لصور ، كما تنسب القداسة اليوم لمدن المزارات الكبرى . وأبرز من ذكر هذه القداسة متغنياً كان الشاعر ملياغر الذي عاش في القرن الأول للميلاد . وقد وصفها في « ديوان الشعر الاغريقي » بقوله « صور المقدسة (القبريات ٤١٨) ثم « صور الالهية » (القبريات ٤١٩) . ولا بد من الاشارة هنا إلى ان المعبد الاكبر كان مفصولا عن صور الجزيرة بمياه البحر . وحسب ما نقله جوزيفس عن تاريخ صور قام الملك حيرام بردم البحر بين جزيرة المعبد الصغيرة وجزيرة صور (التاريخ القديم لليهود — ٨ : ٢) .

وهذه التي يدعوها الفينيقيون عشتارتا هي لنا فينوس[١١٢] .

وكرونوس عند تجوله في العالم أعطى لابنته أثينا[١١٣] (منيرفا)

---

(١١٢) يعني هنا بكلمة « لنا » الرومان . وفينوس اندمجت بالالهة اليونانية أفروديت . وفي الأصل الروماني هي ربة القوى المنتجة في الطبيعة (راجع الحاشية ٨٣) كما هي عند العرب الزهرة .

(١١٣) اثينا : هي ربة الفطنة والحكمة عند الاغريق . وهي محبة للحرب (الالياذة ١٧ : ٣٩٨) تشبه الالهة « عناة » في محفوظات اوغاريت وقد عبدت في امكنة كثيرة في بلاد الاغريق أهمها في أتيكا وفي بويتيا . وليس ما يثبت أصل هذه الالهة لان اسمها بتركيبه غريب في اللغة اليونانية . وينقل هيرودت اسطورة عن اثينا من ليبيا حيث وجد الناس مقتنعين هناك بانها ابنة بوزيدون وقد انتسبت لزفس بعد خلاف مع والدها . كما يذكر ان فتيات قبائل « المخلية والاوس » كن يقمن بمناورة قتال سنوياً على شرف اثينا في أحد الاعياد ، وذلك وفق عادة قديمة لالهة لم يذكر هيرودت اسمها ، وانما هي تتفق مع صفات اثينا (هيرودت ٤ : ١٨) وربما تكون هذه « عناة » الكنعانية المحاربة ، انتقلت مع بحارة الفينيقيين إلى بلاد البحر المتوسط لتصبح في بلاد الاغريق أثينا . وكما يذكر فرجيل في مقتطفاته (٢ : ٦١) من أن اثينا تحب القلاع والمدن ، كذلك نجد عناة في ملحمة « البعل وعناة » الاوغاريتية تعمل لبناء بيت للبعل كي يقيم فيه ، وهذه الصفات توحد بين الالهتين . أما عن تغير الاسم للالهة بين بلد وآخر مع احتفاظ هذه الالهة بوظائفها نفسها فيذكر لنا « رينيه ديسو » ان اللات الالهة العربية قد اندمجت بالالهة أثينا اندماجاً تاماً بواسطة الصفويين والنبطيين في حوران والبقاع . وقد عجب ديسو من كون أثينا هذه تحمل الاسم ولا تحمل أية صفة من صفات اثينا الاغريق في النقش الذي وجده الاب لامنس في حمص. (العرب في سوريا

مملكة أتيكا[١١٤] (Attique) .

وقد انتشر طاعون وموت كثير ، فضحى كرونوس أضحية لوالده أورانوس ابنه الوحيد[١١٥] وختن نفسه ، وأجبر جميع أتباعه على

قبل الاسلام – رينيه ديسو ف ٥ شكل ٢٨) وللاحظة ديسو هذه نرجح ان اثينا هي إلهة سامية الاصل انتقلت إلى الاغريق بطريق الفينيقيين ، وان اسم اللات لم يكن الا صفة لها مع طول الزمن أصبحت هي الاصل ، ولكنها مخففة من كلمة الالهة .

أما منرفا فهي النسخة الرومانية للالهة أثينا .

(١١٤) أتيكا : منطقة في شرق بلاد الاغريق تكثر فيها المعادن والرخام كما تتعدد فيها المجتمعات ولا بد من ان يكون الفينيقيون تعاملوا بمناجمها ومقالع رخامها واستعمروها مع ما استعمروا من بلاد الاغريق .

(١١٥) هنا يجدر الوقوف قليلا عند هذا الطقس الكنعاني الذي ينص على التضحية بالابناء فقد وردت أكثر من قرينة تثبت وجوده . وسيأتي ذكر ذلك في هذا النص (الحاشية ١٤٠) كما يذكر ديودورس ان أغاتوكل طاغية «صقلية ؟» عندما حاصر قرطاجه (في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد) عاد القرطاجيون إلى عاداتهم القديمة بتقديم أحسن أبناء عائلاتهم ذبائح للاله كرونوس (ساتورن) ولكن بعضهم اشترى أبناء غير ابنائه، وقدمهم للذبح . وقد جرى تحقيق بالموضوع فانكشف الأمر وأسرع القرطاجيون إلى اصلاح هذا الخطأ فاختاروا مئتي ولد من أحسن ابناء نبلائهم وضحوا بهم في حفلة علنية . وهكذا ضحي بأكثر من ٣٠٠ طفل . وكان في قرطاجه تمثال لكرونوس من نحاس أحمر ويداه ممدودتان ، ومقلوبتان وهو منحن نحو الارض، بحيث ان الولد الذي يوضع هناك لا يمكن

فعـل ذلك (١١٦) .

وبعد زمن قليل كرس ابنه الذي ولد من «رحيَّه» بعد موته، وكان

ستعادته ، وكان يسقط في تنور مليء بالنار (ديودورس — الكتاب ٢٠) .

كما ما جاء في العهد القديم يثبت ان هذا الطقس من التعبد هو كنعاني أصيل فقد كانت تقدم التقدمات البشرية من الابناء ، للاله « مولوك » كما في (الملوك الثاني ٢٣ : ١٠ و ٣ : ٢٧ و ٢١ : ٦ وأرميا ٧ : ٣١ وحزقيال ١٦ : ٢١ ومزامير ١٠٦ : ٣٧ و ٣٨) . ولعل أول من خرج على هذا الطقس الديني واستبدل كبشاً بابنه كما يذكر لنا العهد القديم كان ابراهيم والد اسحق(تكوين ٢٢ : ٦ — ١٣) وفي هذه العملية ما فيها من شك بقيمة التضحية . (انظر الحاشية ١٤١) .

(١١٦) هنا بدأت تنجلي ملامح الحضارة السامية الاصيلة من خلال الكنعانيين ملامح حضارة التضحية وتعذيب الذات، حضارة الخطيئة الاصلية ، ونستطيع ان نطلق عليها اسم « حضارة إيل » ، حضارة المعاناة الانسانية ، وبعكسها تماماً تأتي حضارة ابولو الاغريقي، حضارة المغامرة واللهو والشباب الدائم والانتقال من مغامرة إلى غيرها . فحضارة إيل هي التي دفعت الكنعانيين إلى التضحية بأعز ابنائهم شعوراً منهم بلذة البذل والتضحية بأمل الحصول بعد ذلك على مقابل للبذل والتضحية . وهي ما دفعت الساميين إلى الصيام ، حيث فرضوا هذا الطقس على الحضارة المسيحية ، كما اتخذت الختان تعبيراً عن التضحية لأجل ما يمكن ان يحصل عليه المرء من نشوة بطريق العضو المختون . والفاصل هنا في التضحيات الانسانية بين البربرية وبين المشاعر الانسانية المأساوية الاصيلة هو في أن يكون المضحى به من الغرباء ، أو ان يكون ابن الانسان المضحي او جزءاً من لحمه . وقصة فينيقيي قرطاجة شاهد على هذا النوع من التضحية (الحاشية ١١٥) فقد كانت تضحية الكنعانيين من انفسهم وليس من الغرباء وكان البعل لهم كقائد يشرف على أرقى نظام أخلاقي، وهو نظام العطاء قبل الأخذ،ولا يزال العهد القديم يحفظ

يدعى «موت» وبذلك يسمي الفينيقيون الموت وبلوتون (١١٧) (Plu-ton) .

وبعد ذلك أعطى كرونوس للالهة بعلتيس (١١٨) (Baaltis) ،

لنا قصة الكهنة في الكرمل ، فهؤلاء عندما فشلوا باحداث معجزة طلبت منهم لم يطالبوا بتضحيات من خارج أنفسهم بل عمدوا إلى أجسادهم يعذبونها ، فتسيل منها دماؤهم عل بعلهم يعطف على آلامهم (الملوك الأول ١٨ : ٢٨) ولا تزال هذه العادة متبعة عند الشيعة في عاشوراء مشاركة منهم في آلام الحسين . انها من أعمق مشاعر المعاناة الانسانية للوجود ، ولا يحس بما فيها من طمأنينة نفس ورضى وجدان ، الا القديسون وكبار المعلمين والمتصوفين . وقصة الختان هنا تشبه قصة ابراهيم الذي ختن هو وابناؤه وجميع اتباعه (تكوين ١٧ : ٢٣) ونذكر هنا ان عملية الختان هذه حدثت في أرض كنعان . وعندما خرج الاسرائيليون من مصر ووصلوا إلى ارض كنعان كانوا بدون ختان ، وقد ختنهم (يشوع ٥ : ٧) وقد حفظ العرب هذا الطقس حتى اليوم ونشروه مع الدين الاسلامي .

(١١٧) لمعنى كلمة « موت » عند الفينيقيين تراجع حاشية (رقم ٥) أما « بلوتون » عند الرومان فهو « هادس » عند الاغريق . وهو صاحب المكان الذي يذهب اليه الموتى (الالياذة ١ : ٣) .

(١١٨) هنا أصل الكلمة « بعلة » وهي مؤنث « بعل » رمز الخصب ولا شك بأن المعنية هنا هي عشتاروت وهي سيدة جبيل . وديوني هي رمز الانثى (الحاشية ٨٥) ويبدو ان لها علاقة وطيدة باسم ديونيسيوس الذي هو ادونيس كما لأدونيس علاقة بعشتروت وقد وردت في نصوص عديدة باسم « سيدة جبيل » الالهة الام العظيمة ، كما يصفها (فريزر) عندما يصف احتفالات جبيل (الغصن الذهبي ف ٢٩) وهي الصفة نفسها التي تعطى لديوني .

وهي نفسها ديوني ، أعطاها جبيل . وبيروت لبوزيدون (١١٩) (نبتون) وللكبيرس فلاحين وصيادي سمك . وهؤلاء هم الذين كرسوا بقايا بونتس في مدينة بيروت (١٢٠) » .

— XV —

«وقبل هذه الأشياء ، كان تأوتس قلد أورانوس ، ورسم بالحفر تعابير وجوه الآلهة (١٢١) : كرونوس وداغون وآخرين ، الذين هم السمات المقدسة للحروف (١٢٢) .

---

(١١٩) من قصص الاساطير التي يرويها « ننوس » في القرن الخامس للميلاد ، ان ادونيس حاول عبثاً ان يسيطر على بعلة بيروت ، وعندما فشل سيطر عليها بعل بحري ، ولا بد ان يكون هذا البعل البحري هو بوزيدون المذكور هنا ، لأن من وظائفه أنه اله للبحر (الحاشية ١٠٢) .

(١٢٠) ليس في الجملة تركيب خاطىء لو كررنا في مطلعها كلمة « أعطى ». والاشارة هنا كما يبدو هي إلى قرى ومنازل على الساحل يسكنها فلاحون وصيادو سمك . وقد جعل الكبيرس يحكمونهم في ضواحي بيروت (راجع الحاشية ٥٣ عن الكبيرس ، راجع الحاشية ٩٨ عن بونتس) .

(١٢١) إشارة لبدء فن النحت، وهذا الفن برز في مصر وما بين النهرين ثم في بلاد الاغريق أكثر مما برز في فينيقيا .

(١٢٢) هذه الاشارة تفيدنا ان حروف الكتابة كانت رموزاً مقدسة للالهة ، او الابطال المؤلهين . وقداسة الحرف والكلمة نجدها في معظم عقائد الاقدمين وكأن الحرف كان عزمة سحر يستحضر في رمزه الشخص او العمل المقصود .

وتخيل أيضا ، بفضل كرونوس ، رمز الملكية ، وهذه هي : أربع عيون موزعة في الأقسام الداخلية والخارجية للجسد. اثنتان منها تغمضان بهدوء . ثم على الكتفين أربعة أجنحة . اثنان منها منتشران ، واثنان مطويان. ومعنى هذا الرمز أن كرونوس ينظر وهو نائم، وينام وهو مستيقظ

ونجد اثر هذا التقديس للكلمة في بدء انجيل يوحنا حيث نقرأ « في البدء كانت الكلمة والكلمة كانت عند الله ، بل كانت هي الله » وهذه عقيدة فعل التكوين اليهودية ايضاً . كما نجد أهم عملية في التكوين الذي يضع قصته حمورابي السامي في بدء شرائعه هي عملية التسمية ، وكأن تسمية الشيء هي خلقه وتكوينه . وقد نتخيل مع الأولين ان هذا الموقف في منتهى الرهافة لانسان يقف امام أشياء يجهلها ويريد تعريفها بأسماء يعينها. ففي اسطورة « اينوما إليش البابلية » نقرأ أن تجربة الاله مردوخ لنفوذه كانت بنطق كلمة تعبر عن ارادته . وبالكلمة فقط كان يوجد الشيء أو يفنيه (توركيلد جاكوبسن — ما قبل الفلسفة) ولعل ما نجده هنا من سمات للحروف كان كبير الاثر في فلسفة العناصر الاربعة التي قال بها أمبدوكل وبقيت نافذة في العلوم حتى القرن الثامن عشر . فأمبدوكل يستخدم كذلك الآلهة ليرمز بأسمائها إلى عناصره : الماء والهواء والنار والتراب . وكما تتركب سمات الآلهة هنا لتصبح كلمة ذات مدلول كذلك عند أمبدوكل و تتركب العناصر معاً لتصبح وجوداً مادياً . وقد سبق إلى هذا الاستنتاج بقوله : « إن اصل معنى الاسطقسات هو الحروف الابجدية » . وقد ذكرنا في « الحاشية ٣ » ان امبدوكل هو من جنوب ايطاليا من أكراغاس في صقلية حيث استوطن الفينيقيون الذين تبدو آثار أفكارهم في فلسفته . وفي اسطورة مصرية أن حورس أرسل ثوث ليعلم إيزيس كلمات مقدسة ترقي بها ابنها ليخرج منه سم العقرب ويعود للحياة (فريزر — الغصن الذهبي ف ٣٨) .

وكذلك للأجنحة ، يطير وهو جاثم ، ويجثم وهو طائر (١٢٣) .

أما بخصوص الآلهة الآخرين ، فقد وضع لهم جناحين على الكتفين ليدل على أنهم يرافقون كرونوس في طيرانه (١٢٤) ووضع له أيضا جناحين على رأسه ، الواحد يشير إلى الذكاء الذي يوجهه ، والآخر ليدل على الفهم والحساسية .

وعندما جاء كرونوس إلى بلاد الجنوب (Midi) أعطى مصر بكاملها للإله تأوتس لتكون مملكة له (١٢٥) .

---

(١٢٣) اعتدنا رؤية الرموز المجنحة في فن مختلف الشعوب القديمة . حيث نجد في فن ما بين النهرين وفارس الاسد المجنح والثور المجنح ، كما نجد في الفن الاشوري عفريتاً مجنحاً، ونجد آلهة مجنحين في فن الاغريق، والنسر الروماني أشهر من أن يذكر به . أما هذا الرمز للسلطة والحكم فهو خاص بحضارة إيل ، حضارة التأمل والحكمة والقسوة في مراقبة الذات . وندر ان نجد رمزاً مفصلا بمثل هذه الدقة وهذا التشديد على المسؤولية .

(١٢٤) يشبه هؤلاء المرافقون الملائكة (الكاروبيم) في العهد القديم وقد وصف حزقيال ملك صور بالكاروب (٢٨ : ١٤ و ١٦) .

(١٢٥) في كل يوم يتم كشف جديد للعلاقة بين مصر وفينيقيا في العهود القديمة . ومن المرجح ان السلالة الحاكمة في مصر كانت عائلة سامية من الكنعانيين ، لان من تقاليد هذه العائلة انها لم تكن تتزوج من الشعب المصري ، كما كانت تقدم نذوراً وتقدمات لمعابد جبيل (راجع الحاشية ٣٢) وهناك أسماء آلهة مشتركة بين البلدين . وأهم الكشوفات في هذا الموضوع هي تلك التي قام بها بيير مونتيه ونشرها في كتاب «المصريون في جبيل» وقد اخذ عنه معظم الدارسين الاخرين كما أن ديو دورس في قصة اوزيريس يبرز الكثير من هذه العلاقة (١ : ١٥ – ٢٣).

— XVI —

(فيلون عن سانخونياتن)

والكبيرس السبعة أبناء صديق كانوا أول من التزم بهذه الأعمال من بين جميع الرجال ليحتفظوا منها بالذكرى (١٢٦) وكذلك أخوهم الثامن اسكلبيوس ، كما رسم لهم ذلك الإله تأوتس .

وبعد ذلك كان ثابيون Thabion أول كاهن عظيم من بين جميع أولئك الذين كانوا في فينيقيا (١٢٧) والذين ترجم لهم بطريق الاستعارة Allegorie في مجموعهم، وتم اختلاطهم بحركات العالم الطبيعية (١٢٨)

---

(١٢٦) هنا تعيين لعدد الكبيرس لم يذكر من قبل . والالتزام بالاعمال هنا يعني الوظائف التي اوكلت لهم والرموز التي وضعها تاوتس للتعامل بها ، ومن اعمالهم صناعة السفن والعقاقير الطبية (الحاشية ٥٣) ثم إدارة شؤون الفلاحين وصيادي الاسماك في ضواحي بيروت (الحاشية ١٢٠) .

(١٢٧) لم نعثر على ذكر لهذا الكاهن العظيم . ونضيفه إلى من ذكرهم جوزيفس وكتبوا في التاريخ والعقائد الفينيقية (راجع الحاشية ٤) كما نجد إشارة هنا إلى كتاب كثيرين كانوا يعنون بتسجيل وقائع الفينيقيين وآدابهم .

(١٢٨) يعني هنا بالاستعارة ان الحوادث التي نسبها المؤرخون والرواة لهم اعتبرها المترجمون رموزاً لحوادث الطبيعة ولم يأخذوا بها كحقائق ووقائع انسانية ، ولكون اسماء الابطال المذكورين أطلقت على كائنات الطبيعة مثل اورانوس (السماء) وبونتس (البحر) وغيرهما اخذ الغرباء عن الفينيقيين ينسبون كل ما يتعلق بطبيعة هذه الموجودات إلى الابطال مضيفين تفاسير وحوادث من خيالهم . وبذلك اختلطت وقائع الناس الابطال بحركات الطبيعة وتخيلات المتخيلين من الرواة والشعراء .

فانتقلوا الى مديري حفلات المجون [١٢٩] (Orgie) والى أنبياء

---

(١٢٩) حفلات المجون هي اجتماعات عبث وتهتك يفترض انها كانت تقام في أعياد الالهة عشتارتا في معظم بلاد غرب آسيا وليس عند الفينيقيين وحسب. وهذه الطقوس كانت دينية تنم عن دوافع التضحية أكثر مما تنم عن رغبات العبث كما اصبحت فيما بعد. وهي ظاهرة من مشاعر حضارية عامة. ففي بعلبك كما ينقل لنا ذلك فريزر كان يفرض على كل امرأة ان تزني مع غريب في هيكل عشتارت، سواء كانت المرأة فتاة عذراء ام زوجة. وفي باقي بلاد فينيقيا كانت النساء يؤجرن انفسهن خدمة للدين واستعطافاً للالهة وكسباً لرضاها. وفي جبيل كن يقصصن شعرهن كل سنة مرة حداداً على ادونيس. والنساء اللواتي كن يرفضن قص شعرهن كان عليهن ان يستسلمن للغرباء في يوم من أيام العيد ويقدمن الاموال التي يحصلن عليها للالهة (لوسيان ــ فصل «الالهة السورية») وقد ذكر العهد القديم هذا النوع من البغاء في الهياكل (حزقيال **١٦ : ١٥ وأشعيا** ٥٧ : ٧ وميخا ١ : ٧) وبقي هيكل أفقا في جبل لبنان يضم بغايا على اسم عشتروت حتى القرن الرابع للميلاد إلى ان هدمه الامبراطور قسطنطين حسب رواية أوزيب في كتابه « حياة الامبراطور المبارك » . وليس لدينا تسجيل فينيقي تفصيلي لما كانت تعانيه المرأة من مثل هذه الفريضة المقدسة الكريهة، لكن هيرودت يحدثنا عن هذا التقليد الديني ذاته في بابل في هيكل الالهة « ميليتا » النسخة البابلية عن عشتار. فهناك نساء ثريات من اللواتي كن يترفعن عن الاختلاط بالعامة كن يحضرن للهيكل في عربات مغطاة، مع جماعة من الخدم خلفهن. وعندما تصل المرأة وتجلس لهذه المهمة لا يسمح لها بالعودة لمنزلها حتى يمر بها أحد الرجال ويلقي قطعة فضة لها باسم الالهة « ميليتا ». ولا قيمة لثمن القطعة الفضية فهي قيمتها بقداستها. ولا يمكن رفضها، كما لا يكون للمرأة حق الخيار بين الرجال

الأسرار [١٣٠] وهؤلاء، رغبة في زيادة الغموض في جميع هذه

وهناك جماعة من النساء قضين ٣ أو ٤ سنوات دون أن يحظين برجل. وهناك عادة مماثلة تجري في قبرص (هيرودت ١ : ١٩٩).

من هنا نعرف بعد هذا الطقس الديني الصارم عن عبث « الأورجي » الماجن فهو لم يكن نزهة تسلية للمرأة، بل كان أقسى تجارب التضحية والبذل من الذات، ولكنه تحول إلى حفلات عبث وتلذذ مع الحضارة الابولونية التي انتجت بعد ذلك ارستيب وابيقور والسوفسطائيين.

ولا بد من الاشارة هنا إلى ان طائفة من المسيحيين الأول هي النقولاويون كانت اتبعت الوصية « عامل بدنك بازدراء » وقاوموا الغيرة نحو النساء فأباح زعيم هذه الطائفة امرأته الحسناء التي كان يغار عليها كثيراً وذلك في تجربة فذة لمقاومة شهواته وغيرته. وكانت هذه الطائفة كما يبدو آخر محاولة لاحياء تضحيات عشتارت (راجع رؤيا يوحنا ٢ : ١٤ ــ ١٥ وأوزيب في كتابه « تاريخ الكنيسة » الكتاب ٣ ــ ٢٩ : ٤ وهو نقلا عن شذرات كليمانت الاسكندري الكتاب ٣) ويبدو ان حفلات الاورجي جاءت عن طريق الاغريق والرومان، حيث كان البغاء تجارة مربحة ولم يكن للمرأة شخصية قانونية (يراجع ول ديورانت في قصة الحضارة ــ الكتاب الثالث والمدينة العتيقة لفوستيل دي كولانج).

(١٣٠) يقصد هنا أنبياء الطقوس السرية والمؤمنين بالوحي والمعجزات الخارقة كأنبياء العهد القديم وكهنة الوحي في دلفي وجماعات المذهب الاورفي والمعتقدين بالسحر وفوضى ارادات الغيب، ومعظم هؤلاء يعتقدون ان التكوين قولة كلمة ينطق بها إله وان جميع ما ينتاب الانسان من أخطار وأمراض انما هو بارادة غيبية يمكن الوصول اليها بالرشوة او بالتعاويذ والسحر. وهذا ضد منطق الوقائع الذي قاد الفينيقيين لاكتشاف عقاقير الأدوية وللاهتمام بالصناعة والزراعة

التقاليد (١٣١) أضافوا اليها ابتداعات جديدة علموها لمن خلفهم ، ولمن أشركوه معهم في طقوس الأسرار (Mystères) .

ومن هذه الجماعة كان أوزيريس مبتكر الحروف الثلاثة (١٣٢)

وابتكار الحروف الأبجدية الرمزية وتطوير عمليات الحساب وأرصاد الفلك لخدمة حاجاتهم اليومية في السفر والتجارة . والفاصل مرهف ودقيق بين هاتين النزعتين وهو ما جعلهما تتداخلان وتختلطان اختلاطاً كبيراً بعد ذلك ، فتنسب خيالات إلهية لأبطال من الناس ووقائع انسانية لآلهة غيبيين .

(١٣١) ما يقصده هنا هو إضافة أهواء مدعي علم الغيب إلى تقاليد الناس سنة بعد سنة لفرض الرهبة في نفوس الجماهير .

(١٣٢) هنا يشير إلى الطقوس الدرامية التي كان يجري تمثيلها كل سنة في مصر في ذكرى موت أوزيريس الاله المصري . فهو يرى ان هذه الطقوس التي تنسب الخرافات والوجود الخارق غير الطبيعي لأوزيريس ما هي الا ابتداعات أضيفت لكائن انساني من الذين صنعوا خيراً للناس بابتكار حروف الكتابة ، فالمصريون القدماء ربطوا بين أوزيريس وقوى الخصب في الطبيعة ، كما افترضوا ان فيضان النيل هو بنتيجة الدموع الغزيرة التي تذرفها ايزيس على فقد حبيبها . وكالعقيدة بأدونيس أوديونيسيوس أو تموز كانت العقيدة بانبعاث أوزيريس من بين الاموات . (راجع « الغصن الذهبي » لفريزر) . ويعتقد هنا الكاتب ان أوزيريس شخصية انسانية حقيقية لفها غموض التاريخ رطغت على واقعيتها خيالات المتدينين . وتأتي رواية هيرودت نقلا عن الكهنة المصريين في القرن الخامس قبل الميلاد ، فترجح هذا الرأي . فقد رأى هيرودت بنفسه سلالة الكهنة متمثلة بتماثيل في قاعة المعبد وقد أكد له الكهنة أن اصحاب التماثيل هؤلاء لم يكونوا آلهة، وانما هم بشر حقيقيون جاءوا بعد السلالة الالهية التي كان آخرها حورس

وأخ كناع (Chna') الذي كان أول من غير اسمه الى فينيقي (١٣٣)

— XVII —

(أوزيب)

وبدون توقف يتابع أيضا :

(فيلون الجبيلي)

— «إن اليونان البارزين بين جميع الشعوب بخيالهم البارع قد

ابن أوزيريس . وهذا يعني ان هنالك سلالة غامضة لم تصنع لها تماثيل لاثبات واقعها فجرى تأليهها (راجع هيرودت ٢ : ١٤٤) . كما هذه الاشارة لحكم سلالة إلهية وردت في وصية أحد ملوك مصر من السلالة التاسعة لابنة الملك مريكارا حيث قال له : « منذ زمن حورس والاسيويون يهاجموننا » وذلك في الألف الثالث قبل الميلاد . (بردية ١١٦ بترسبورغ نقلها موريه صفحة ٢٥٣ — ٢٥٤). أما تحديد الاحرف التي ابتكرها أوزيريس بثلاثة فهذا ما يماشي عقيدة التثليث المصرية في الآلهة حيث قسموهم إلى مجاميع كل مجموع يتكون من ثلاثة . وقد ورثت المسيحية هذا التثليث القديم وقدكان هاما لدى المصريين (ديودورس١ : ١٦).

(١٣٣) إن اسطورة أوزيريس ترتبط بوثاقة بمدينة جبيل ، حيث تذكر أن الصندوق الذي حمل جثة هذا الاله حملته الأمواج إلى شاطىء جبيل . وقد حضرت زوجته تبحث عنه هنا وكان قد تمثله شجرة أثل (بلوتارك — ايزيس وأوزيريس ف ١٤ ...) وقد كشف « مونتيه » في جبيل عن تقدمات من مصر لاله جبيل « هاي — تو » الذي هو في الوقت نفسه يحمل شخصية أدونيس الفينيقي وأوزيريس المصري . وكما اعتقد المصريون ان هذا الاخير كان في جذع شجرة في جبيل ، كذلك ادونيس في الاساطير الاغريقية ولد من جذع صنوبرة،ويقدر كونتنو

انسجموا مع معظم هذه الأشياء ، وأضافوا اليها توشيات مختلفة ليعطوها صبغة دراماتيكية . وقد استهدفوا سحر الخرافة ، فمسخوا معالمها مسخا تــامــا .

ان هذه العلاقة كانت وطيدة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد (الحضارة الفينيقية — علاقة الفينيقيين بمصر) . وكما يوحد الدارسون بين الاله المصري « ست » الاخ والقاتل لأوزيريس والاله الهكسوسي السامي سوتيه ، نحن هنا في لبنان نجد اسم « ست » لا يزال له مزار في البقاع وآخر في جنوب لبنان هو مزار النبي « شيت » في بلدة برعشيت واسم كناع المذكور هنا هو أصل لاسم كنعان ولعله الاله المصري ست ذاته ، الذي قتل أخاه أوزيريس وغير اسمه إلى فينيقي بسبب الصراع على العرش كما تروي الاسطورة . وتربط الاسطورة اسم « تحوت » بهذه المؤامرة وتتهمه بتدبيرها مع ست . وتحوت هذا هو الذي نسب اليه سانخونياتن اكتشاف الكتابة وصياغة الحروف (الحاشية ٥١) وعندما نرى هنا نسبة اكتشاف ثلاثة حروف لأوزيريس نجد الموضوع أقرب للواقع منه للخيال . وواقعيته هي انه في عصر ما اراد الناس وضع حروف الكلمات ، فتنافس تحوت وأوزيريس في وضع رموزها . وكان ست منافساً لأوزيريس على العرش الذي كان يجمع تحت سلطانه مصر وفينيقيا . ولعل كشوفات أثرية جديدة في جنوب لبنان ومصر تستطيع جلاء غموض هذا الوضع .

أما اسم فينيق فقد اعتاد الفينيقيون تسميته . ويبدو انهم نسبوا إلى اسم أحد جدودهم ، وليس إلى أي تجارة أو صباغ ، كما يحلو للمفسرين ان يفسروا اسمهم . وقد ذكر هيرودت اسم جد من هؤلاء وهو والد تازوس الذي استعمر جزيرة « تازوس » واستغل مناجمها بحجة انه كان يبحث عن الفتاة المخطوفة « أوربه » هو الآخر . وكان اسم والده « فينيق » (٦ : ٤٧) وهذا ما يساند تسمية سانخونياتن لكناع بفينيق الذي يعني بالعربية المكرم ، الفحل الضخم الجثة .

ومن ذلك أن هزيود وشعراء الدواوين (Cyclique) المعظمين صنعوا نظرية الآلهة ، وصراع الجبابرة ، وصراع التيتان ، التي عرفت بهم ، مع الخصيان (١٣٤) الذين نقلوهم من مكان إلى مكان، وطمسوا كل حقيقــة .

لقد ألفت آذاننا منذ سنواتنا الباكرة سماع مروياتهم الكاذبة . ونفوسنا التي تشربت هذه الأباطيل منذ قرون (١٣٥) تحفـظ هــذه

---

(١٣٤) هذا القول لفيلون الجبيلي ، وهو واسع الاطلاع في الادب الاغريقي (راجع الحاشية ٢٩ من المدخل) . وهيزيود هوشاعر أغريقي شهير له مؤلف في أنساب الآلهة ، ومن خلاله يروي قصة التكوين ، وله مؤلف آخر بموضوع « الاعمال والايام » حيث يبشر بأهمية العمل مستعملا الاساطير لذلك ، ومفصلا أنواع العمل وطرق الاتقان له . وقد رأى هيرودت ان هيزيود معاصر لهوميرس وأنه معه أعطيا الآلهة الاسماء والصفات التي راقت لهما (٢ : ٥٣) وهذا الرأي لهيرودت يوافق رأي فيلون بتحريف وتوشية الاخبار في بلاد الاغريق كما رأينا . وقد اطلق مؤرخو الادب في العهد الروماني اسم الدواوين على القصائد التي تم جمعها وتصنيفها لشعراء الاغريق القدامى ، حيث يضم بعضها قصص الخلق والبعض الآخر المآسي أو الاخبار أو قصص الجبابرة أو التيتان أو الخصيان كما يذكر لنا هنا فيلون الجبيلي. ويبدو أن هؤلاء الاخرين كانوا ينتقلون للغناء، الذي سلبت رجولتهم من أجله ، حفاظا على نعومة أصواتهم التي تخشوشن عادة مع كمال الرجولة .

(١٣٥) هذا القول يثبت الأصل الفينيقي الصافي لفيلون الجبيلي ، فصيغة جمع المتكلم هنا يعني بها جماعة الفينيقيين التي تشربت الثقافة اليونانية وأصبحت تتعاطى بها دون النظر إلى ما فيها من خطأ وخيال طاغ .

الخرافات المصطنعة كأنها كنز ثمين ، كما قلت عندما بدأت . وقد جاء الزمن فقوى مؤلفهم ، وجعل هذا الاختلاس قوي الركائز تقريبا إلى درجة تظهر معها الحقيقة وكأنها هذيان ، وتظهر المرويات الصبيانية مكان الحقيقة » . [١٣٦]

— XVIII —

(أوزيب)

ولنقف هنا عند نهاية نصوص مؤلف سانخونياتن الذي ترجمه فيلون الجبيلي ، والذي عرف جيدا بعد الفحص بشهادة الفيلسوف فرفوريوس [١٣٧] .

وفيلون نفسه في كتابته عن الشعب اليهودي يورد ما يأتي عن كرونوس [١٣٨] :

---

(١٣٦) المرويات الصبيانية هنا هي الخرافات التي تروى للصبيان كقصص الجن والمردة عند الساميين وآلهة الاساطير عند الاغريق والرومان .

(١٣٧) (راجع الحاشية ٥ من المدخل) وهذا الاعتراف من اوزيب بقيمة شهادة فرفوريوس تتضمن تقديراً عظيماً لهذا الفيلسوف ونبلا من أوزيب الذي يعتبر ألد اعدائه الفكريين .

(١٣٨) يبدو ان فيلون كان كتب مناقشاً ومفنداً لوقائع تاريخ اليهود في العهد القديم مستفيداً من تاريخ سانخونياتن ومتخذاً المنهج الواقعي الذي يبشر به لدراسة وتحليل العهد القديم . ولعل موقفه في هذه الدراسة هو ما قضى على آثاره لمخالفته لمواقف كهنة المسيحية الذين اسهموا كثيراً في حفظ كتب التاريخ .

(فيلون الجبيلي)

— «إن تأوتس الذي يدعوه المصريون تحوت ، وقد سيطر بعبقريته على جميع الفينيقيين ، كان أول من نظم العبادة التي استخرجها من غشامة العامة [١٣٩] ، وعمل منها خبرة واضحة مفهومة . وبعد عدة أجيال قام الإله صورموبيلس (Sourmoubelos) وثورو (Thuro) الملقب كوزارتيس [١٤٠] (Chousarthis) الذي مشى على خطاه بوضع العلم الإلهي لتأوتس بكل ما له من بريق . وهو ما اختفى ولفّة الغموض بدخول المعمّيات » .

(أوزيب)

وبعد عدة جمل يتابع :

(فيلون الجبيلي)

— «كانت العادة عند القدماء ، في ظروف الخطر العظيم أن يقوم المتسلطون على المدينة ، أو على الشعب بتجنب الدمار العام بتقديم أعز أبنائهم للتضحية ، كثمن يقدمونه للآلهة المنتقمة . وكان يتم ذبح هؤلاء

---

(١٣٩) أي من ميول العامة الطبعية للتعبد وتقديس مظاهر الطبيعة (راجع الحاشية ١٨ من المدخل) .

(١٤٠) في تعريف هذا الاسم ذكر المترجم الفرنسي دي سانت بريسون نقلا عن فرفوريوس الصوري ان رجلا يدعى سيمبولوس كان جمع تاريخ عبادة الميترا في عدة اجزاء . وغير هذا لم أعثر على ذكر لهذا الاسم في ما بين يدي من مراجع . أما « كوزارتس » فيبدو انه الاله الفنان نفسه الذي ورد في محفوظات اوغاريت باسم كاشر في ملحمة « البعل وعناة » على الاخص وهو يقيم في مصر ويدعى منها إلى فينيقيا لكي يأتي ويبني بيتاً للبعل بما له من فن ومهارة .

بالسر (١٤١) وكرونوس الذي يدعوه الفينيقيون إيل (Il) حكم في هذا البلد . وهو ذاته الذي ، موخرا جدا ، وبعد موته جرى تقديسه في الكوكب الذي يحمل اسمه . كان له من إحدى حوريات البلاد ، وهي انوبريه ، ولد وحيد يدعى «جود» (Jeoud) (وهذا الاسم يدعى به اليوم الولد الوحيد في فينيقيا) (١٤٢) وعندما هددت أخطار عظيمة هذا البلد ، زين ابنه بزينة الملوك ، وضحى به على المذبح الذي كان أقامه » .

— XIX —

(أوزيب)

وفيلون ذاته ، عند حديثه عن الأحرف الفينيقية ، وترجمة عن سانخونياتن يقول :

(فيلون الجبيلي؟!)

— «أنظروا فقط الزواحف والحيوانات التي تنفث السم والأذى .

---

(١٤١) (راجع الحاشية ١١٥) والاشارة إلى التضحية بالسر تؤكد عمق الايمان الشخصي بقيمة التضحية . ويستطيع أي أم أو أب أن يعرفا معنى مثل هذا البذل الفاجع حين يتخيلان الامر يحدث معهما .

(١٤٢) لم أعثر على أثر لاسم انوبريه . ولكن اسم « جود » اسم سامي مألوف مع اشتقاقاته مثل جواد ومجيد . ويبدو انه كان يطلق على الولد الوحيد لتضمنه معنى الشكر مثل اسم « عطية » العربي وهو المرادف له . أما هذه التضحية بالابن الوحيد ، وهي أقسى انواع التضحية فهي التي تراجع عنها ابراهيم الخليل حين استعاض عن ابنه بكبش قدمه محرقة للاله بدل ابنه (تكوين ٢٢ : ٢ — ١٣) .

فهي لا تقدم للإنسان أية فائدة حسنة ، بل تترصده بالموت وبحرمانه أعضائه بنفث سمها المخيف فيها (١٤٣) .

(أوزيب)

ويضيف ما سأورده كلمة فكلمة :

«فيلون الجبيلي ؟ !)

— «إن تأوتس ، وبعده الفينيقيون والمصريون ، قد ألهوا نوع التنين والحيات، (١٤٤) لكونها من بين جميع الحيوانات الزاحفة هي الأقوى تنفسا — وهو يعلن — أن تنفسها ينتمي للمادة النارية بما فيه من سرعة لا يستطيع شيء مجاراته في نفخها . وهي ، بدون أرجل أو أيدي ، وبدون

---

(١٤٣) لا شك بأن الزواحف والهوام على اختلاف انواعها كانت من الكثرة بحيث كانت تشكل خطراً دائماً على حياة الناس وذلك بسبب كثرة الغابات والاعشاب البرية . وهنا اشارة هامة إلى ان معالجة لدغة الافعى في أحد الاعضاء كانت تعالج ببتر ذلك العضو أو بقطع شرايينه للحوؤل دون تسرب السم لباقي الجسم . ويرى لاغرانج ان هذه الصفحة عن الافعى قد حشرها اوزيب في الموضوع ونسبها لفيلون الجبيلي للسخرية منه . ولكني لا أرى هنا هذا الرأي إذ هي صفحة تنم عن أهمية .

(١٤٤) لا يعني التأليه التقديس والتكريم دائماً وانما يعني الخوف كذلك . وللحية دور كبير في العقائد السامية والمصرية . ولا ننس دورها في قصة اغرائها لحواء وتسببها بطرد آدم وحواء من الفردوس (تكوين ٣ : ١ — ٧) كما هي التي سرقت من غلغامش نبتة الخلود في طريق عودته إلى مدينته « اوروك » . كما هي التي حاربها قدموس في بلاد الاغريق . وفي العقائد المصرية عبدت الافعى في معابد كثيرة ككائن مؤله .

أية وسائل خارجية ، كما للحيوانات الأخرى ، تقوم بكل حركاتها ، وتعطي وضعها أشكالا مختلفة . وتملك السرعة التي تريدها لجسمها المبروم حين تمشي . وهي متميزة ، علاوة على ذلك ، بطول العمر كثيرا ، وليست فقط تصوم لتتخلص من شيخوختها ، لكنها تنمو كل يوم باطراد ، حتى تصل إلى حجم معين . وعند ئذ تنحل في ذاتها ، بالطريقة التي لاحظها تأوتس في الكتابات المقدسة [١٤٥] .

وهذا ما جعل هذا الحيوان يدخل كجزء أساسي في المعابد ، وفي طقوس الأسرار . وقد تكلمنا عنه في المذكرات المعنونة «الأثيوبية» [١٤٦] (AEthiopiques) بتوسع أكبر ، حيث يبدو خلود هذا الحيوان ، وكيف أنه ينحل في ذاته ، كما سبق وقلنا .

وهذا الحيوان بالنتيجة لا يموت موتا طبيعيا ، وعلى الأقل عندما لا يضرب بعنف . ويدعوه الفينيقيون أغا توديمون (Agathodémon)

(١٤٥) هنا نجد أول اشارة للعلم التجريبي الذي يعتمد المراقبة الطويلة الجادة لسلوك الاحياء . وما يقصده بالانحلال في الذات هو انها تبقى خادرة في الشتاء فيصغر حجمها ، وبسبب صيامها ونحولها تتخلص من جلدها الخارجي فيبرز لها جلد جديد لامع يظهرها فتية نشيطة . وحين إضافة ملاحظة طول العمر للحية تصبح هذه النبذة عن الحية أولى الملاحظات البيولوجية الدقيقة التي ذكرها التاريخ القديم وهي سابقة لأرسطو بنحو ألف عام .

(١٤٦) يشير فيلون هنا إلى مؤلف له يتعلق بأثيوبيا ، ولعله كان دراسة لطبيعة تلك البلاد وانواع حيوانها والا لما كان تكلم بتوسع عن الحية ، وكأنه أرسطو الاغريقي او الجاحظ العربي في ملاحظاته الموضوعية .

الروح الطيب [١٤٧] ، ويدعوه المصريون نيف (Kneph) ويضيفون إليه رأس صقر ، بسبب قوة هذا الطائر [١٤٨] .

وأبيس (Epeis) هكذا يدعى عندهم ، وهو أول كاهن عظيم وأول متفهم لرموز العبادة ، قد تُرجم إلى اليونانية بطريق أريوس من هرقليوس [١٤٩] ، جعل كناية فيما يأتي كلمة كلمة :

(أبيس المصري)

— «إن أول إله بارز هو الأفعى برأس الصقر (هي مملوءة بالنعمة) وهي حين تفتح عينيها تملأ بالنور جميع امتداد الأرض الأولى ، أو النسل الأول . وعندما تغمض عينيها تسود الظلمة» .

فقد استعمل أبيس هذه اللغة المفخمة [١٥٠] لشرح أن ما هو لامع

(١٤٧) ان كلمة ديمون اليونانية تعني الروح القرينة لانسان او لمدينة ، وليست اغاتو سوى صفة لها . ولعل الكلمة بكاملها من أصل سامي كنعاني وأغات هي كلمة « أخت » ليس غيرها .

(١٤٨) كان الصقر يعبد في جميع معابد حورس في مصر . وحورس نفسه كان يمثل رجلا برأس صقر .

(١٤٩) لا شهرة لأريوس المترجم اليوناني ، ولكن المدينة هرقليوبولس هي مستعمرة كان أسسها الميغاريون والبويثيون في سنة ٥٦٠ قبل الميلاد . وهكذا لا بد من كون الترجمة حدثت بعد هذا التاريخ .

(١٥٠) لقد أدرك فيلون ان التعبير ادبي شعري ، وليس تقريراً علمياً . والنص الذي يورده عن « أبيس » الكاهن يربط بين وجود النور ولمعان عيني الافعى اللتين لا تلمعان ما لم يكن نور ينعكس عليهما . ولكنه نص من زاوية متعبد مؤمن بالأفعى ويبشر بعظمتها .

هو مضاء . وأن من خواص النور الإضاءة بالنتيجة .

— XX —

أما فيريسيد [١٥١] (Pherecyde) وهو الذي أخذ معالم أفكاره الأولى من الفينيقيين ، أعلن في لاهوته الإله أوفيونوس ophi-onéus والأوفيونيدز [١٥٢] الذين سنتكلم عنهم .

---

(١٥١)فيريسيد هو من أوائل كتاب الاغريق الذين عالجوا قضية التكوين وأصل الكون والآلهة ، وهو من مدينة سيروس عاش حوالي ٥٥٠ قبل الميلاد وذكر سترابو انه زار قادش الفينيقية على المحيط الاطلسي وكتب عنها مسمياً إياها « أرضية » Erytheia حيث ذكر أسطورة الغنم وهرقل وجيرون (سترابو ٣ : ٥ ,٣) وما ذكره سترابو يساند رأي فيلون القائل ان فيريسيد أخذ أفكاره عن الفينيقيين .

(١٥٢) أوفيونس هو من آلهة المذهب الاورفي . ينسب له حكم العالم قبل كرونوس . وقد تأثر المذهب الاورفي كثيراً بالافكار الفينيقية عن التكوين وكان لمأساة ديونيسيوس مركز كبير في الطقوس الاورفية ، كما حسب رواية افلاطون كان الاورفيون يعتقدون ان البدن الانساني سجن للنفس تعاقب فيه ، كما آمن الاورفيون بالتصوف وبالحياة الاخرى ، وجميع أفكارهم وعقائدهم نحو الوجود الانساني كانت مشابهة لما لدى الكنعانيين وبخاصة في طقوس التكفير عن النفس . ويبدو ان فيلون عندما كتب عن اوفيون أحد الآلهة الاورفية انما كان عالج موضوع العلاقة بين طقوس هذا الاله والعقائد الفينيقية وهذا ما حداه إلى الحكم على فيريسيد الذي عالج هذا الموضوع بأنه أخذ معالم أفكاره الاولى من الفينيقيين .

ويرسم المصريون العالم بالفكرة نفسها ، فيحفرون دائرة مستديرة هوائية ملتهبة . وفي وسطها يرسمون أفعى ممتدة برأس صقر . وهذا الشكل يوافق الحرف ثيتا theta اليوناني . وهم يفسرون العالم بالدائرة والأفعى في مركزه بالروح الطيب (أغاتوديمون) .

وقد قال زوروسترا المجوسي [١٥٣] في الطقوس المقدسة للفرس ما نصه :

(زوروسترا المجوسي)

— «إن الاله برأس الصقر هو الأول والخالد ، غير المولود ، والذي لا ينقسم ، ولا شبيه له ، وهو يرشد إلى كل ما هو جميل ، ولا يمكن رشوته بالهدايا ؛ أسمى السامين ، ومفكر المفكرين البارز ؛ وهو أب الشرائع الجيدة وكل عدالة ، ولا يدين بعلمه لأحد غير ذاته ، متجانس مع الطبيعة ، كامل وعاقل ، وهو وحده مبدع الطبيعة المقدسة » [١٥٤]

(أوزيب)

وأوستانس Ostanés يقول الأشياء نفسها في كتابه المعنون «الصلوات الثماني» .

---

(١٥٣) هو مؤسس مذهب الزرادشتية بين القرن السابع والسادس قبل الميلاد . وقد دخل إلى هذا المذهب الكثير من الزيادات والحشو والطقوس الغريبة .

(١٥٤) هذه الصفات تنطبق على الاله المصري « حورس » الذي عيناه الشمس والقمر ، وهو رب السماء وأرفع الآلهة في مصر . وقد عبد بهيئة صقر

— XXI —

(تعليق أوزيب)

من ذلك أخذ الفيزيولوجيون [١٥٥] نقطة انطلاقهم لبناء أنظمتهم كما ورد ذكر ذلك : حضروا إلى أقداس المعابد، وكانوا يقدسون النجوم الأولى ، تحت شكل الافاعي [١٥٦] . وقدموا أضحيات لهذه الزواحف كما أقاموا لها أعياداً وطقوس أسرار ، واعتبروها الآلهة الكبرى ، ومدبرة جميع الأشياء . هكذا كانت تقاليد سانخونياتن بخصوص الافاعي .

ومجموع اللاهوت الفينيقي هو إذن من هذا النوع . وذلك ما دعانا «الكلمة المخلص» [١٥٧] إلى الابتعاد عنه في إنجيله ، بدون العودة إليه

---

(١٥٥) يقصد بالفيزيولوجيين هنا الماديين الذين يريدون تفسير ظواهر الكون بقوانين الطبيعة الفيزيائية ، دون اللجوء إلى القوى الغيبية الخارقة .

(١٥٦) قد يكون للبدائيين عذر بالربط بين الافعى وبين إحدى ظاهرات الفلك النادرة وهي النجم المذنب الذي يشبه الافعى اذ بظهوره واختفائه يوحي الرهبة دون باقي النجوم . وقد يكون الخيال قادهم إلى اعتبار هذا المذنب يجتمع على بعضه ملتفاً كالحية ليصبح نجماً كباقي النجوم التي يرونها . ومن هنا جاء سر تقديسهم للافعى في الارض ومسيرتها السحرية بدون أرجل كما يقدسون نجوم السماء .

(١٥٧) يعني بالكلمة المخلص هنا ، يسوع المسيح ، وقد عرفه هذا التعريف انجيل يوحنا عند قوله « في البدء كان الكلمة ... وكان الكلمة الله ... والكلمة صار جسداً وحل بيننا ، (يوحنا ١ : ١ و ١٤) .

ودفعنا إلى شفاء أولئك المصابين بجنون التقاليد القديمة . أما بخصوص تلك التي ليست خرافات مخترعة للتسلية ، فهي تتضمن نظرية ذات وجهين [١٥٨] .

لكن بدلا من ذلك هناك الشهادات الصحيحة من قدماء الحكماء واللاهوتيين ، كما يدعونهم [١٥٩] . وهي تتضمن روايات سابقة لجميع الشعراء والمؤرخين [١٦٠] ويؤيد إخلاصها تسمية الآلهة المألوفة حتى اليوم في المدن والقرى الفينيقية . كما تؤيدها طقوس الاسرار التي تقام هناك [١٦١] . وهذه آخر برهان . وعبثاً يراد اكتشاف بذرات

---

(١٥٨) يقصد بهذا ، الطقوس التي تتناسب مع الطقوس المسيحية ، رغم كونها تنتمي للعقائد الفينيقية . وهذا ما يريده بقوله « ذات وجهين » وجه وثني ووجه اخلاقي يتناسب مع ما تدعو له المسيحية .

(١٥٩) يقصد هنا شهادات الحكماء على غموض حركات الكون واقرارهم بعظمة نواميسه وعجز الانسان امامها . وهذه المواقف هي التي هاجمها فيلون الداعي إلى تأليه الانسان بتحديه للطبيعة وغوامضها .

(١٦٠) هنا يشير إلى الشعراء الذين عالجوا قضية التكوين عند الاغريق من أمثال هيزيود وهوميرس واورفيوس ، وإلى المؤرخين أمثال سانخونياتن الفينيقي وفيريسيد الاغريقي وأمثالهما .

(١٦١) يريد بهذه الحجة أن يدحض فكرة الاناس الابطال التي قال بها سانخونياتن ، وذلك بكون الشعب اله هؤلاء الابطال وأقام لهم طقوساً دينية ، وليس ذلك الا لحاجة الشعب إلى الإله الذي جاءت به المسيحية وحمل هو راية التبشير به .

التفسير الفيزيولوجي [١٦٢] ، بينما الأعمال تأتي لتقدم البراهين التي لا تدحض عن وجودها .

(١٦٢) ينفي هنا أوزيب أي إمكان للوصول إلى تفسير مادي للكون وتحولاته وقوانينه الفيزيائية ويدعو للاكتفاء بعقيدة اله واحد خلق الكون ويتصرف به كما يشاء حسب ارادته . وهذا الموقف هو موقف المتدينين المؤمنين في كل دين ومذهب .

فهرس الاعلام

ا

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي